

العلاقات بين البلاد التونسية وايطاليا الى الاحتلال الفرنسي

بقلم: وياض المرزوقي

يشتمل بحثنا هذا على قسمين متكاملين:
- نتعرض في الاول مختلف جوانب هذه العلاقات، والمراحل التي مرت، والازمات التي شهدتها.

- ونعرف في الثاني بوثائق نادرة، يكشف عنها الستار لأول مرة.
ولقد واجهتنا صعوبة منهجية تتمثل في تحديد ايطاليا التي لم تتحد وتعرف بهذا الاسم إلا سنة 1861، عيشما تعود العلاقات التي نبحت فيها الى عهود تسبق هذا التاريخ بقرون. فقمنا بالاشارة باختصار الى تاريخ العلاقات قبل وحدة ايطاليا، وركزنا عملنا على ما بعد سنة 1861. لانها الفترة التي ظهرت فيها اطماع ايطاليا في تونس، وتساعد فيها تنافسها مع القوى الأوروبية الأخرى، وخاصة فرنسا وعلقتة.

1 - العلاقات بين ايطاليا وتونس:

أ - ما قبل الوحدة الإيطالية:

يذكر (قانياج) ان قنصليات سردينيا، وتوسكانا، ونابلي، لم يكن لها اثر سياسي يذكر في هذه الفترة على الرغم من وجود جالية ايطالية هامة في البلاد (1). ويقدر الايطاليين انذاك بـ 4000، وهم اذن الجالية الثانية بعد المالطيين (2). وكان اهتمام الدبلوماسيين الايطاليين يتجه بالاساس الى

1 - J: Ganiage: Les origines du Protectorat....

2 - المرجع نفسه: ص. 41.

المسائل التجارية والقضائية (3). اما الجالية فتتقسم الى فئة ثرية تمارس تجارة التوريد والتصدير، وتحتكرها تقريبا مع المرسليين ، ويكون اهل جنوة هذه الطبقة، بينما يعيش بقية الايطاليين في وضع بائس، ويمارسون مهنة الصيد البحري، او المهن اليدوية كالبناء، والنجارة، والاسكافية، وصنع العجين الغذائي، واصلاح الساعات، وما شابه ذلك. وتشغل النساء خادما في منازل الاثرياء، او مرضعات لابنائهم (4). وكان الايطاليون يهاجرون من جميع انحاء ايطاليا وخاصة من صقلية والقرنة.

اما على المستوى السياسي، فان اهم المشاكل التي كانت تثار، تهم القرصنة، فقد كان القراصنة التونسيون يهاجمون السفن الايطالية، ويغيرون على الشواطئ الايطالية، فيحملون الغنائم، والعبيد، الصبايا، مما اضر بتجارة الايطاليين البحرية، وخاصة البندقية التي كانت من سادة البحر المتوسط، واحدت رعبا جماعيا في سكان الجزر، والسواحل.

وتشير المعاهدات التي عثرنا على نصوصها الى هذه الرغبة الملحة في استتباب الامن. وعدد هذه الوثائق ثلاث عشرة معاهدة، هذا تفصيلها:

- 1 - معاهدتان مع سردينيا (1816 - 1832).
- 2 - اربع مع الصقليين (1799 - 1812 - 1816 - 1833).
- 3 - خمس معاهدات مع توسكانا (1816 - ثلاثة اتفاقيات) (1822 - 1846).
- 4 - معاهدتان مع البندقية (1736 - 1792) (5).

ومن هذه الخلافات التجارية ما كان له اثر بلغ درجة ايقاد نيران الحرب، كما هو الشأن في حرب تونس والبندقية في عهد حمودة باش، تلك الحرب التي افضت الى انتصار تونسي كبير (6). ومما يؤكد التخوف الاوروبي من الاسطول التونسي، ومطامع ايطاليا في جارتها منذ اواخر القرن الثامن عشر، الخطة التي وضعها مجهول، يبدو انه بندقى، لاحتلال البلاد التونسية بجيش اوروبي موحد (7).

3 - المرجع نفسه: ص. 39، 40.

4 - المرجع نفسه: ص. 42 - 44.

5 - تونس 1980 - ص. 530 - 543 ، 548 - 568 . A. Rousseau : Ann. Tunisienne .

6 - انظر. الاتحاف : 20/3، ورشاد الامام: سياسة حمودة باشا في تونس، تونس 1980.

ب - من. الوحدة الإيطالية الى الاحتلال الفرنسي (1861 - 1881):

بدأت المملكة الإيطالية نشاطها الدبلوماسي في تونس بصفة محتشمة، يعيدها قانياج الى اضطراب الجالية الإيطالية، وصعوبة التحكم فيها، وتغير القناصل بنسق سريع (4 قناصل في ثلاث سنوات) (8). ونذهب الى ان اهتمام إيطاليا كان متجها خاصة الى تدعيم دولتها الناشئة، ومما يدعم هذا الرأي الجملة الآتية لوزير خارجية إيطاليا: «ما من سبب، ولا مصلحة لنا في الاهتمام [بتونس]، عدا ما يكون من الاعلام...» (9). وقد حررت هذه الجملة في جويلية 1863.

لكن الواقع يثبت ان النية موجودة، وان انعدم الفعل لانعدام القدرة. فقد تجلى الاهتمام الإيطالي بتونس بشكل واضح خلال انتفاضة 1984، اذ ارسلت إيطاليا سفنا حربية، بدعوى حماية مواطنيها. وكانت هي الدولة الأوروبية الوحيدة التي فعلت ذلك مع فرنسا وإنجلترا. ولكنها تميزت عن القوتين المذكورتين بالمبادرة الى التخطيط لاحتلال عسكري للبلاد التونسية، لم يفشله تخوفها من ردود الفعل الفرنسية خاصة (10).

وتبقى المصالح الاقتصادية من المحركات الأساسية لهذه السياسة الإيطالية، فقد تضاعف عدد الجالية الإيطالية خلال هذه الفترة تقريبا، ليساوي عدد المالطين هذا عدا اليهود الإيطاليين من أصيلي القونة، ويبلغ 1100، سنة 1871 (11). ويدل على نشاط هذه الجالية، ما لعبه أفرادها من ادوار اقتصادية، واجتماعية، وسياسية، وحتى ثقافية. فقد ظهرت جمعيات مثل: الجمعية التجارية الإيطالية التي أسسها الجنويون (12)،

7 - سياسة حمودة باشا المذكور: ص. 154 - 155 - ص. 349 - 354.

8 - قانياج: ص. 40 - والقناصل هم: ماتيوي، فاشيوتي، بانسا، فومباروتا (Mathien, Fasciotti, Bensa, Gambarotta):

9 - المرجع نفسه: ص. 39.

10 - انظر: الاتحاد: 149/5، وقانياج: ص. 204، 213 - 220.

11 - قانياج: ص. 41.

12 - تأسست سنة 1863 انظر: قانياج: ص. 13.

وصدرت صحف باللغة الإيطالية (13)، وكان من الإيطاليين أطباء عالجاو
البايات (14)، واعيان من السماسرة والتجار كلفوا بمهام (15)، وحتى ضباط
اداروا المكتب الحربي بباردو (16)، ووزراء فعليين للخارجية (16 مكرر).
وعلى الرغم من ان حركة التوريد والتصدير بين ايطاليا وتونس لم
تبلغ ما بلغت تجارة الفرنسيين، فانها تبقى هامة.

ويبلغ حجم الصادرات التونسية الى ايطاليا (في الفترة ما بين 1861
و1865) ما يقارب الثمانية ملايين من الفرنكات، اما الواردات، فلا تتجاوز
3.800.000 فرنكا اي خمسي الواردات الفرنسية. وتتمثل الصادرات اساسا
في الحبوب والزيوتو اما اهم الواردات فهي الاقمشة الحريرية، والقطنية،
والمواد الغذائية، والخمور (17).

وقد ساهمت ايطاليا في المشاريع الاوروبية التي تعددت لاستثمار
بعض القطاعات في تونس، وعرفت بمشروع الجديدة خاصة، وهو مشروع
فلاحى، تمت المصادقة على قوانين الشركة التي تأسست لاستثماره بأمر من
الباي بتاريخ 4 اوت 1870. وقد خططت الشركة لزراعة عدة الاف من
الهكتارات كان يملكها مصطفى خزندار، واكثرتها منه، بالاضافة الى معاصر
للزيت، ومصانع للكحول، والمشروبات الروحية، ووكالة تجارية
بتونس،

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

-
- 13 - صدرت اولى هذه الصحف سنة 1838، انظر: مقال الصباح (1991/1/17) ص.9.
14 - منهم الطبيب البندقي غزف Gazzo والجنوي مدريشي Mendrici، والبابلي ونشي
Ronchi (سياسة حمود باشا: ص. 312 - 313). لمبروزو Lumbroso، وكاستلنوفو Castel-
ino: ص. 577 - 590).
15 - منهم كتيرس الذي وجه الى اوروبا للاقتراض (الاتحاد: 35/6).
16 - نعني امير الالاي كاليغارس Calligaris (الاتحاد: دولة احمد باي، تحقيق: احمد
عبد السلام، تونس 1971 - ص. 70 - وقائيا: ص. 56).
16 مكرر - نعني الكونت جوزيبي رافو (Giuszppz Raffo) (قائيا: ص. 597).
17 - قائيا: ص. 54.

وصندوق للقروض. بالرهن للفلاحين التونسيين. وحدد رأسمال الشركة بخمسمائة ألف ليرة. لكن هذا المشروع الذي بعثه الطبيب (كاستانوف)، كان شبيها ببقية المشاريع الأوروبية الهادفة إلى الحصول على أكثر ما يمكن من الامتيازات، دون أية تضحية أو خسارة، مما جعل المشروع يتحول إلى قضية شبيهة بقضية ماء زغوان، أو قضايا (دي سانسبي)، أو القروض المعروفة، وينتهي بعد خصام دام عدة سنوات بإجبار الدولة التونسية على دفع جميع المصاريف التي ادعى الإيطاليون أنهم تكبدوها، بالإضافة إلى فائدة بلغت 5 بالمائة من رأس المال، دون أن تجني تونس شيئا من هذا المشروع الوهمي. والملاحظ أن الإيطاليين طالبوا بمبلغ يساوي 4 مرات ونصف ثمن الأراضي نفسها، وكانوا سنة 1871 يتهاون لانزال حملة بحرية إلى تونس لإجبارها على الدفع. ولولا تدخل القوى الأوروبية، وخاصة الإنكليز، والسلطات العثمانية، لتمت العملية حسب رغبة الإيطاليين (18).

ولعبت إيطاليا كذلك دورا سلبيًا، كدور فرنسا، في حماية مخطئسي أموال الدولة والتوسية، اللاجئين إليها، وأشهرهم القائد نسيم شمامة الذي اختلس ما يقارب العشرين مليونًا من الفرنكات، ولم تمنع مطالبات الحكومة التونسية، وخاصة مبعوثها الجنرال هستين من منح القائد نسيم لقبًا جعله من النبلاء (19).

فالتأثير الإيطالي، أن كان أقل من التأثير الفرنسي، ومن التأثير الإنكليزي، وهما تأثيران غلبا على السياسة والاقتصاد التونسي منذ عهد المشير الأول أحمد باي، إلا أنه واضح في مستويات أخرى.

فاللغة الإيطالية مثلاً قد عرفت رواجاً كبيراً. ومن الأمثلة على ذلك أن أحمد باي كان يحسن الإيطالية، ويستعملها حتى في المحادثات الرسمية (20)، وأن الشاعر محمد الباجي المسعودي قد أدمج بعض كلماتها لكن

18 - المرجع نفسه: ص 333 - 342.

19 - نفسه: ص 600 - 601، ومحمد بيرم الخامس: القطر التونسي في صفوة الاعتبار،

تحقيق: الشنوفي، منصور، تونس 1989، صص 198 - 199.

20 - م. الاتحاد (دولة أحمد باي): ص. 43، 140.

انجلترا، وخاصة فرنسا، تمكنا من احتلال المراكز الاولى في المنافسة على تونس، بسبب ما يتوفر لهما من قوة حربية واقتصادية، وبسبب تغلبهما في البلاط الحسيني. وعندما تم احتلال تونس، كان رد الفعل الايطالي ضعيفا، لا يتماشى مع منطق ايطاليا التي كان من المفروض ان تعتبر من املاكها.

ويحاول محمد بيرم الخامس ان يعلل ذلك، فيقول:

واما ايطاليا فانها تجرعت من ذلك الغصص وطوت من الضغائن التي لا تزال ولكنها لما كانت غير كفء بانفرادها لمعارضة فرنسا واتحادها مع الدولة العثمانية ايضا لا يجدي لاحتياج كل الى المال مع ما فيه الدولة العثمانية من الحالة الداخلية والخارجية التي اعقبتها الحرب الاخيرة فلم يسعها الا السكوت وتحمل عرق القرية مع عظم الضغينة في عموم الاهالي والدولة اذ هي حريصة على ابقاء ما كان على ما كان في تونس وكانت عند ملاحظتها بالشر عرضت بالسعي السياسي مع الدولة العلية فعل يكن من المقدر قبول الانتباه لما ارادت حتى انكر الوزير العثماني علي المأمور الطلياني التكلم معه في تونس وقال له انها تابعة لنا ولا دخل فيها لاحد وعند هجوم فرنسا صار يتعلق الى ذلك المأمور لكي تد ايطاليا اليد اليه فقال له مصداق المثل الصيف ضعيف اللب (23).

ومن دلائل هذا التراجع الايطالي ان مشاركة الايطاليين في (الكومسيون) المالي لم يتعد تعيين عضوين ليس لهما ما للفرنسيين والانكليز من الصلاحيات (24).

ونختم بالاشارة الى جانب يتجاوز حدود بحثنا هذا، لكنه يعطي فكرة

21 - انظر: قصيدة (الى دار دنيس) في مختارات من الادب في العهدين المرادي والحسيني - منشورات بيت الحكمة، تونس 1990، ص. 322 - 323.

22 - الاتحاف: 77/5 - 80.

23 - القطر التونسي في صفوة الاعتبار: ص. 437. وعني عرق القرية الشدة، والصيف (او في الصيف) ضيقت اللب: مثل عربي (الميداني: مجمع الامثال، بيروت 1962 - 2 - 23).

24 - الاتحاف: 115/6. ويعلق ابن ابي الضياف: ودين اهل ايطاليا كثير ايضا.

عن صورة ايطاليا في اذهان التونسيين وعن الاسفار التي كان التونسيون يقومون بها الى ايطاليا السياحية، والثقافة، والقيام بمهام، وتعرض كذلك الى الجالية الايطالية بتونس، وخاصة القرانة، وبعض التونسيين المستقرين بايطاليا. وهو كتب الرحلات (25).

2 - تقديم الوثائق:

عثرنا في مخلفات المرحوم محمد المزرقي على مجموعة من الوثائق التي تعرف بها هنا لأول مرة وهذا تفصيلها:

1 - رسالة شكر من الكونت دي كاستليونى الى الوزير الاكبر على المهديّة التي ارسلها الباي الي ملك ايطاليا، وهي مكونة من اسد، وكلاب سلوقية (24 ماي 1866).

2 - رسالة من الباي الى ملك ايطاليا فتكور امانويل الثاني لاعلامه باهدائه مدفعا، وبندقيتين مزخرفتين (23 افريل 1867).

3 - رسالة من الباي الى شيرارايو، وزير العمالة بدولة ايطاليا حول شراء زمردة (11 افريل 1867).

4 - رسالة من شيرارايو المذكور: رئيس محل ادارة النيشان الطلياني: الى الوزير الاكبر خزانة في التهيئة بوزار التحبير الوقتي، والتنويه بحكومة الوزير في زيارة ترقيب الاحوال، وخصوصا الامور المالية: (كذا؟) وتفهم الموقف التونسي في عدم تطبيق القوانين، (وقتل بعض الجناة بكيفية غير حكيمية) (8 نوفمبر 1867).

4 - رسالة من وزير الخارجية التونسي الى رئيس مكتبة فخامة رئيس ايطاليا، لطلب اتمام الشروط المتعلقة خاصة بالمتجر (23 افريل 1867).

5 - قائمة في الاعوان الفئصليين العاملين بالايالة التونسية (1887).

6 - نقل عن مقال بصحيفة ايطالية (الاتحاد) l'union بتاريخ 1900/7/23،

25 - نشير خاصة الى الرحلة الحجازية لمحمد السنوسي، وصفوة الاعتبار احمد بيبرم الخامس.

26 - ريشار وود (1806 - 1900): كان قنصلا بتونس منذ 30 افريل 1855. (قائيا): ص. 66.

تتضمن بياناً للقنصل الانكليزي السابق بتونس ريشار وود Richard Wood وترجمة له.

ودون الدخول في التفاصيل، نكتفي بالإشارة الى ان جميع مراسلات الباي، والجانب الايطالي تتفق على الاشادة بدور كاستلنوفو (27) في ربط هذه العلاقات.

1 - النموذج، معرب عن الفرنسية:

فلورنسا في 24 ما 1866

سيدي الوزير الاكبر:

لقد كلفني جلالة ملك ايطاليا، عاهلي المعظم بان التمس من سموكم ان تتفضلوا بابلاغ جلالة باي تونس تشكرات جلالته المخلصة الحيوانات التي حظها الدكتور كاستلنوفو، طبيب الملك.

رقد قدر جلالته بهذه المناسبة كامل محبة جلالته تجاهه. وقد اعجب الملك بالاسد كثيرا، وهو يعتبره اجمل حلية في مجموعة في مجموعته الحيوانية. ورضي الملك كذلك عن الكلاب السلوقية، ووجد فيها الكثير من الاندفاع والسرعة في صيد الخنزير الوحشي.

وكانت المشاعر التي عبر عنها جلالته للملك بهذه المناسبة محل قبول خاص جدا من جلالته، وقدر قيمتها وانني اعتبر نفسي سعيدا جدا، حضرة الوزير الاكبر، بالمحبة التي كلفني بها جلالة الملك، والتي التمس من سموكم ان تتفضلوا بقبول تأكيد ارفع اعتباري.

الكونت دي كاستلنوفو

2 - النموذج الثاني، بالعربية:

الحمد لله، تعريب مكتوب للصدر الهام جناب الوزير الاكبر امير الامراء

27 - البارون جياكومو كاستلنوفو (1821 - 1880): طبيب يهودي من القرنة، كان طبيبا للمشيرين - احمد باي بين 1851 و1858، وعقد سنة 1868 اتفاقا تجاريا بين ايطاليا وتونس بعد ان اصبح له بنك بفلورنسا. وشارك في جميع المكائد المالية بالايالة بين سنوات 1868 و1871. (قانياج: ص. 57).

سيدي مصطفى من الكونت شيراريو ونيس محل ادارة النيشان الطلياني
في 8 نوفمبر سنة 1867 (في 11 رجب سنة 1284):

اما بعد، فان بمقتضى المحبة والمودة التي تكاثرت لي ادلتها من السيادة،
وجب علي انهاز فرصة سفر ابن الدوتور (28) جاكمو كستلنوفو لتونس
لاكلفه بان يبلغ للسيادة سلامي وتحيتي، واقرر للسيادة وللحضرة العلية،
بواسطة جنابكم مسرتي من زوال التحير الوقتي (29) بتونس، والراحة
والهنا الذين وجدوا الان يصيرون سببا للحضرة العلية، ولحكمة وزيرها
الاكبر في زيادة تنظيم وترتيب الاحوال، وخصوصا الامور المالية. ولا يخفى
جنابكم ان في اول الامر، وقع هنا نوع تاثير من السرعة التي وقع بها قتل
بعض الجناة من غير كيفية حكمية، لان عادة بلادنا تقتضي نوع امهال في
ذلك، ولاكن بعد ان شرح لنا بعض الانفار الاعيان العارفين باحوال الشرق،
وخصوصا الدوتور جاكمو كستلنوفو، وبينوا ان بعد ثبوت استحقاق هؤلاء
المفسدين للموت، وهو امر لم يشك به احد، وقع التنفيذ فيهم بمقتضى الحق
وعوائد البلاد والشرعية، والله تعالى يديم وجود ملك تونس، ويسعده، ويديم
لجنابكم العز والشان الذين تستحقوهم، ويدلكم للخير.

والسلام من محبتكم الكنت شيراريو.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

ملحق 1:

قائمة القناصل والاعوان القنصليين الايطاليين بتونس: (قائماج: ص. 40).

- 1 - ماتيو (انهى مهامه في جويلية 1861).
- 2 - فاشيوتي (اكتوبر 1861 - اكتوبر 1862).
- 3 - باتسا (نوفمبر 1862 - جوان 1863).
- 4 - غاميروتا (ماي 1863 - افريل 1865). (31)
- 5 - حشيو (اكتوبر 1866 - جانفي 1883) (قائماج: ص. 590).

28 - هي التسمية الايطالية للحكيم الطبيب. Dottore.

29 - يشير الى احداث انتفاضة 1864 م.

الاعوان: (حسب الوثيقة رقم 5 المذكور اعلاه):

- 1 - جوزيبي بارينتي (ماي 1862)، يعمل بحرية Giuseppe Pariente
 - 2 - كوستا بيترو (جوان 1881)، يعمل ببنزرت Costa Pietro
 - 3 - ديرند الكسندر (قنصل مساعد)، يعمل بحلق الوادي Durando Alexan-
dre.
 - 4 - مينا كاميليو (قنصل مساعد - جوان 1887) يعمل بسوسة Mina Ca-
millo
 - 5 - ايمانويل افوكاتو (جانفي 1863)، يعمل بصفاقس Emmanuel Avvocato
 - 6 - دافيد لمبروزو (اكتوبر 1872)، يعمل بالمهدية. David Lumbroso.
- ملحق 2:
ايطاليا في الاتحاف:

- 1 - دولة احمد باي:
ص. 43: تعلم الباي لايطالية نطقا.
ص. 70: رئيس المكتب الحربي بياردو الامير لاي كالي قارس، من اعيان
ايطاليا.
ص. 82: المحيرصي يستعمل لغة ايطاليا في تهريب الجلولي.
ص. 140: استعمال الايطالية في المحادثات الرسمية بين الباي وملك
فرنسا.

-
- 30 - يصفه ابن ابي الضياف بانه: من افراد العقلاء، وله دراية بالسياسة، وميل الى
الانصاف، عانى بذلك من بقى من جنسه متاعب، حتى اضطر الى الاستعفاء..
(الاتحاف: 77/5).
 - 31 - انظر في موقفه من القضاء القنصلي، ومكاتبه في هذا الشأن (الاتحاف: 77/5 -
80).
 - 32 - لم نعتبر في هذه القائمة الايطاليين الذين كانوا قناصل (شرفيين او فعليين)
لدول اوروبية اخرى.

ب - الجزء الخامس:

ص. 77- 80: تعويض القنصل فمبروطة الفاشوتي، ومراسلاته مع الباي في شان المحاكم القنصلية.

ص. 95: قدوم ابن سلطان ايطاليا، وقباده النياشين مع الباي.

ص. 149: قدوم السفن الايطالية، ضمن السفن الاوروبية، وبها الاسلحة العصرية، كمدافع الشيشخان.

ج - الجزء السادس:

ص. 85: توجيه جملة من المبعوثين الى اوربا لمحاولة الحصول على قرض، ومنهم كتيري الطلياني، من اعيان سماسرة البلاد وتجارها.

ص. 115: احتجاج الايطاليين على مبادرة الفرنسيين المتعلقة بالكومسيون المالي، وعلى استثنائهم بالقوة رغم ان دين اهل ايطاليا كثير.

ص. 121: الفصل العاشر من قانون الكومسيون، ويتضمن تعيين عضوين ايطاليين في قسم النظر والتصحيح.

ملحق 3:

قصيدة لمحمد الباجي السعوي تصف حادثة اوروبية، يعمل فيها ايطاليون، ضمنها الشاعر مفردات ايطالية.

<http://Archivebeta.Sakhrir.com> [من الطويل]

الى دار دنيس

1 - وقيت العنا يا حادي الركب بالعيس

تحمل تيحاح الى دار دنيس (33)

وحي نداماي الذين الفتهم

بها وعيون اللهو ترنو بتأني

وايام لذات تقضت بقربهم

ركضنا بها خيل السرور بلا كيس

33 - Denise، اسم امرأة اوروبية.

بفرسان انس يقبلون اذا رأوا
 ظباء كناس في ثياب الطواويس
 5 - الا في سبيل الله نفس مشوقة
 تحن لانجيل وقرع نواقيس
 وتصبو الى ذكر الصبوح وفتية
 شعارهم سدل الشعور على الروس
 اذا ذكروا شرع اليسوع تمسحوا
 بآثارهم ما بين حبر وقسي
 ويسقون من واح كأن نسيمها
 وسول الى قلب المشوق بتنفيذ
 اذا ما شربناها يقول مديرها:
 «قراتسي سنيور افيفا ايا موس» (34)

10 - فتهتز اعطاف الندامى لقول
 كما هزت الانجيل اسماع شعيس (35)
 لك الخير يا ماتيل بادر باوب
 فان ابالولو عدو المغالبي
 وان ابن قسطنطين (36) حال واداه
 لعلك ترثي ان تراني بلا كي
 فانت كبير القوم غير مدافع
 ثلاقي بنشر للثياب بتنفيذ
 لعل الليالي ان تعود اليكم

34 - عبارات ايطالية "Grazie Signore e viva andiamocci".

35 - يعني الشمس، وهو من رجال الكنيسة، وكان اشار الى بعض العناصر الدينية المسيحية في الابيات الشابة، كما اشار الى اطالة الشعر، ويختص به الاجانب في عهد.

36 - ماتيل، ابي لولو (ولعله باولو)، وابن قسطنطين: من اسماء الاجانب اصحاب الحانات او العاملين بها.

- 15 - ونلتذ من بئر الحجار (37) بشرية .
 ويقرع سمعي من خميس بتخميس (38)
 هو المنزل الرحب الرفيع عماده
 على الهضبة الشماء من قصر باريـس
 لو أن لسان الدين عانه لم يقـل
 (عسى وقفة بالركب يا حادي العين)(39)

ديوان الباجي

المسعودي

ص 177، 128



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

-
- 37 - بئر الحجار: موضع بتونس العاصرة.
 38 - يشير الى خميس الرين، أحد مفتي عصره.
 39 - اشارة الى مطالع قصيدة لسان الدين بين الخطيب المعارضة، ويتعرض البيت السابق اليها.

خصوصية النص الشعري التونسي بالثمانينات :

بقلم الأزهري النفطي

على منبر الأيام الشعرية الثالثة قدّم الأستاذ محمد قوبعة يوم 19 جويلية 1990 محاضرة حول الشعر التونسي المعاصر والتحويلات أشار فيها بالخصوص الى صدور مائة وواحد وسبعين مجموعة شعرية في عشرية الثمانينات، فتمخضت عن هذه المحاضرة أسئلة مشروعة في ذهني كملتقى طرحت أساسا هموم الكتابة الشعرية التي تولّدت عن هذه التجربة إضافة إلى البحث عن هوية النصوص الشعرية التي تضمنتها مجاميع منحلة الثمانينات ومضامينها وخصوصيتها على مستوى الشكل والمضمون وذلك بالنظر للكم الشعري المطروح على الساحة الثقافية العربية.

من هذا المنطلق رجعنا أساسا إلى دليل الإصدارات بالمركز الوطني للتوثيق وإلى مكتبة إتحاد الكتاب التونسيين فعدنا بذلك إلى ما تيسّر لنا من نماذج شعرية طالعنا بها هذه الدواوين المذكورة، فكانت بالنسبة لنا بمثابة مفاتيح الدلالة لفهم مسار تجربة الثمانينات ومركزية الفعل الشعري الذي تولّدت عن مجاميع هذه المرحلة.

فهل حدثت تغييرات على كتابة النص الشعري التونسي في الثمانينات تمنحه خصوصيته على مستوى الشكل و المضمون؟

وهل ينبغي أن يشكّل هذا النص مرحلة الاختيارات الكبرى
 لتجربة الثمانينات؟ «إذا كان الفن ليس محاكاة ولا تعبيراً فهو في
 رأيهم (أي في رأي الحداثيين) خلقاً» Cr ation «فريد مبتكر على
 غير مثال من واقع منشئه الخارجي أو الداخلي» (الدكتور نعيم
 الياقى الشعر العربي الحديث : دراسة نظرية في تأصيل تياراته
 الفنية منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق 1981
 صفحة 150)

كسّر كَأْسُكَ واسكن

صمت الأشياء

كسّر رمسك

واسنفُز

ففي رياح الطرقات

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يا رَجُل

ما يجدى طبع الكلمات.

«عزّوز الجملي مجموعة ألعاب الجروح قصيدة الفأس ص 26.
 أكتوبر 1985»

على هذا الأساس يمكننا في البداية أن نتوقّف عند ثلاث حركات
 شعرية هي بمثابة المنطلقات المركزية لكتابة النص الشعري
 بالثمانينات.

1 - حركة الطليعة بالخمسينات :

ساهم روادها بقسطهم الوافر في خدمة قضايا الوطن العادلة ونذروا أعلامهم للذود عن الوطن المقدّى دفاعا عن خلاصه من ربة المستعمر. من رموز هذه الحركة الشعرية الشاعر «منور صمّاح» الذي ملأ الدنيا وشغل الناس فأسكنت العلة صوته الصّدّاح غير أن نصوصه الشعرية حاضرة معنا تخلّد إسمه على صفحات أدبنا العربي أبد الدّهر. من مجاميعه الشعرية نذكر : «فجر الحياة الذي نشر سنة 1955 بإهداء إلى زعيم الحركة النقابية المرحوم فرحات حتّاد فصودرت بأمر من الإقامة العامّة، حرب الجوع، سلام على الجزائر، الملك العائد : ...»

وتعتبر مدونته الشعرية دفاتر تحفظ الأحداث المسجلة إبّان الحركة التحريرية (شهداء 9 أفريل 1938، شهادت الطالبين حمزة والمرزوقي).
أوليس القاتل في زمن السجن والمشقة والبرصا.

عهدي به جدّا فصار مزاحا بدأ الضحية وأنتهى سفاحا
الباب فتّحه الذين استشهدوا فلمن ترى قد سلّموا المفتاح

2 - حركة الستينات :

تعتبر حركة الستينات إضافة مشروعة لحركة الطليعة بالخمسينات ساهم رموزها بدورهم الفعلي في تنوير الرأي العام الوطني إيماناً منهم برسالة الشعر النبيلة التي تستلهم مضامينها

من الواقع المجتمعي المعيش.

من المجاميع الشعرية التي أثرى بها رموز حركة الستينات مدونة الشعر التونسي المعاصر نذكر.

« حصاد الشمس لعبد العزيز قاسم، قرط أمني للميداني بن صالح، رحلة في العبير لنور الدين صمود، النغم الحائر للهادي نعمان، نجوم على الطريق لجعفر ماجد، كلمات للغرباء لمحي الدين خريّف، قافلة العبيد لمحسن بن حميدة، سناهل الحرية لأحمد القديدي، نبضات لعبد الرحمان عمّار، حنين لزبيدة بشير... »

والملاحظ أن شعراء هذه الحركة كتبوا القصيدة العمودية والقصيدة الحرة وقصيدة النثر إضافة إلى كتابات أصحاب تجربة غير العمودي والحر، نذكر من بينهم الحبيب الزناد، الطاهر الهامي، فضيلة الشابي...

3- حركة الأدب التجريبي في الستينات :

تمخّضت عن هذه التجربة إضافات للنص الإبداعي بمختلف أشكاله ومضامينه مما أهل هذه التجربة أن تكون عتبة البحث عن خصوصية النص الشعري التونسي المعاصر بمواصفات ومكونات إبداعية تميّزه عن الكم الشعري المطروح على الساحة الثقافية العربية. يمكنكم العودة إلى نموذجين من نماذج شعر الأدب التجريبي في الستينات :

النموذج الأول مع المرحوم صالح القرماضي الذي وظّف علم الألسنية في الشعر وطوّعه لكتابة النص الشعري التونسي الحديث واعتمد على البساطة والتبسيط وتطعيم النص الشعري باللهجة العامية وتوظيف علم الأصوات في قراءة النص الشعري فحلّ

الصوت محلّ المرجع أين أصبح بديلاً ودليلاً وذلك إمعاناً من الشاعر صالح القرمادي في التجديد والبحث عن البديل.

ولنا في مجموعتي «اللحمة الحية» و«أسلافنا البدو» نماذج شعرية حيّة على التقنيات الألسنية التي سلّطها صالح القرمادي على النص الشعري التونسي المعاصر.

النموذج الثاني المرحوم مختار اللغماني الذي تميّزت مجموعته الشعرية «أقسمت على انتصار الشمس» بقيمتها الجمالية والغنية إضافة إلى هاجس التغيير والبديل الذي سكن مختار اللغماني عند كتابته لقصائده «أقسمت على انتصار الشمس» أين يلتحم الشاعر في نصه الشعري بالبؤساء، من متسول وماسح أحذية، وبائع سجانر، وبائع روبافيكاً.

وعلى رجليّ المربوطتين إلى قيد الألم
يركبني قابوس بـباب فرنسا
وتنصّبني شيخاً شاباً الروبافيكاً
وعلى أذنيّ المنتصبتين في زمن الصمم
يصيح إنسان
يا ربّي راني جعان
وأنا البائع الجوال أناديك
«كابوس ص 11»

سلعتي ليست لغيرك يا خضراء العينين
فأطـلّي

أعطيك ما أعطيك !
أهـلـك أهـلي في الخارج
وأحبـابي السابقـون يتعاملون.

« مختار اللغماني » أقسمت على انتصار الشمس » « أغنية البائع
المتجول للأميرة المسجونة في القصر ».

تجربة الثمانينات وخصوصية النص الشعري التونسي المعاصر :

كيف تشكلت تجربة الثمانينات ؟

وهل بحث أصحابها عن كتابة مغايرة لصياغة النص الشعري
التونسي الحديث ؟

تمحورت الكتابة الشعرية في الثمانينات حول جملة من الثوابت
الرئيسية نذكر منها ما يلي :

(ا) هموم الكتابة الشعرية في مرحلة الثمانينات :

قدمت قصائد الثمانينات لقرائها في أشكال مختلفة ومضامين
مشبعة بالحيرة والأسئلة والتضمين والتناص والإقتباس من
القرآن الكريم وآياته البيئات وبتوظيف الشخصيات التراثية (أبو
ذر الغفاري، الزبير ابن العوام، عقبة ابن نافع، أسد ابن الفرات،
طرفة ابن العبد، أبو الطيب المتنبي، الشنفرى، عروه ابن الورد،
الحلاج...) وبالإجراء الأسطوري وذلك بالعودة إلى الأسطورة
الإغريقية والسيرة والهلالية والمدرسة الألمانية (هذه الجثة لي لعبد
الله مالك القاسمي، مدن للحزن يوم للفرحة لمحمد فوزي الغزّي،
آخر الهلالين لمنير هلال) والتظلل بمظلة المسحة الصوفية :

كـوـنـي التـشـابـك
والتـعـانـق والفـناء
هـذا انبـعـاث البـعث
فـي لـجـة المـوج المـعـطـر
بـالـجـحـيم
وأنا البـطـريق إـلى البـطـريق
كـوـنـي الحـريق

«عبد الله مالك القاسمي مجموعة كتابات على حائط الليل
قصيدة صلاة أولى 1983»

وأيضاً بالتظلل بمظلة المسحة الرومنسية (يمكنكم العودة إلى
مجموعة آخر زهرة تلج للشاعر محمد البقلوطي)

على هذا الأساس، كتبت النصوص الشعرية في الثمانينات
فقامت تجربة أصحابها على البحث عن كتابة نص شعري مغاير
للمؤلف السائد الذي يقوم أساساً على التجاوز والإضافة والبحث
عن البديل وهي لعمرى سنة حميدة من سنن الحداثة ولبنة من
لبنات بناء وصياغة النص الشعري المعاصر تؤسس لشرعيته
ولحضوره في كتابة تباغت القارئ وتدهشه وتنأى بذائقته عن
أسلوب ومضامين الرثابة والمباشرة والنشاز، فالأثر الإبداعي تقاس
نجاعته بمدى شدة للإنتباه وتنشيط يقظة الحس حسب عبارة

الأستاذ عبد العزيز بن عرفة في كتابة : «الإبداع الشعري وتجربة
التحويم أفريل 1988 صفحة 32».

ولا رفرفت قطرة في إناء الكتابة
سأبكي كلاما
وتكسو الدموع مقاما

«منصف المزعني من القصيدة الملحمية قوس الرياح أو على
جناح الصوت»

على هذا الأساس تبدو القصيدة التونسية الحديثة من وجهة
نظرنا قادرة على تحقيق الفصل الدقيق الذي يخصها كحفل معرفي
شعري مكثف ومتميز بذاته عن الحقول المعرفية الأخرى خاصة في
مرحلة الثمانينات أين بحث الشاعر عن كتابة نص شعري تونسي
متفرد على مستوى الشكل والمضمون هذا خلافا لما ذهب إليه
صاحب الكتاب المذكور من أن القصيدة التونسية المعاصرة مازالت
تتلمس طريقها بالرغم مما يقال عن التحولات الجذرية التي
شهدتها.

أحبك في انبثاق النور بالأمال يغريني
أحبك في ذري الصفصاف تسكره تلاحيني
أحبك في انسكاب الفن يسرى في شراييني
وفي نوح الصنوبر.. في انتحاب الطبر في ليلات تشرين

«البشير المشرقي ديوان همسات إلى الزمن الهارب قصيدة
مقاطع للوطن الراحل في الذكرى صفحة 18 طبع الشركة التونسية
لفنون الرسم 3 / 1981».

(2) البحث عن هوية النص الشعري التونسي في الثمانينات:

طالعنا المجاميع الشعرية الصادرة في الثمانينات بكتابة تبحث
عن صياغة نص شعري تونسي معاصر له خصوصيته شكلا
ومضمونا كي لا تكون أصواتنا الشعرية صدى لأصوات شعرية
معروفة على الساحة الثقافية العربية.

فالذي يستبد بجمجمتي

وجع لم يسقه عصب

وجع كافر بالخلايا

يسير كما النار في جسدي

وأنا الشاعر المتدثر باللفة

المُـنـزَـقـة

أُتـلـذـذ مـوتـي

للمـشـنـقـة

«حافظ محفوظ قصيدة «قلق» صفحة 34 - جوان 1986»

على أساس هذه التجربة الشعرية يمكن أن يكون النص الشعري
المكتوب في الثمانينات عصارة للتجارب الشعرية السابقة على
أساس حرص أصحابها على الحسم بين الأشكال الأدبية وذلك بالنظر

الى علاقة الشكل بالمضمون وتجسيد روح المبادرة والشعور
بالمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتق الشاعر لتأكيد الذات وتحقيق
الخصوصية والبحث في اللحظة الإبداعية عن انبجاس النص
الشعري من ذات الشاعر زمن انتمائه في مرحلة مخاض وولادة
القصيدة الى عوالم قصيدة داخل الذات حسب عبارة خالد النجار
في كتاب الأسئلة، هناك وفي هذه العوالم القصيدة يعيش الشاعر
حالاته الشعرية بمدّها وجزرها.

وأنا أريد مجلّة ومشاكسين

خبـــــــزا

وزيتــــونا

وتبنــــنا

ورقــــا من الزنك القوي

أظــــافر أو حوافر

لا حــــال يشبه حالي

ولا شــــريد

ها أنت تظهر في الزجاج

شجــــرا

وأودــــية

وتــــاجا

ها أنت تتركها صغيــــرا

ليموت أصغرنا كبيرا

«محمد الصغير أولاد أحمد ديوان نشيد الأيام الستة قصيدة صحراء»

أما الملاحظات التي يمكن أن نسوقها في خصوص الوظيفة المركزية للغة في مدونة الثمانينات فهي :

أن اللغة تحمل الرؤي الشعرية وتمدّ الجسور بين الباث والمتلقى كما تساعد على ولادة النص الشعري ونضجه وعبوره على جسور ألفاظها ودلالاتها من الباث الى المتلقى ، واللغة بصورة أدق هي الوسيط الفعلي بين الإنسان والعالم حسب عبارة جاك داريدا.

تونس في 19.12.27



أسرار الكتابة في كلية وخدمة

فتحى الحمدي

الجزء الثاني

إن مراتب الكتاب ومراتب القراء وترديد الحرص على معاني الكتاب المخفية، ضرب من مواصلة تحيّل علماء الهند والحرص على سلب القارئ وشده إلى الكتاب. ويبقى السرّ فيما لم تقع الإشارة إليه من إطار لوضع هذا الكتاب والغاية من وضعه، إذ أن الكتاب رغم وضوح حكمه بقي أليفاً قريباً إلينا مستجيباً إلى ما ننتظر منه.

إن دلالة النصّ لا تعرف بينائه القائم على أخبار على ألسنة الحيوان، فقد تكون الأخبار في كثير من الأبواب غير ذات صلة بهذا العالم، إنّما هي شخصيات من عالم الإنسان حتى يكون الباب الواحد منها مَخْلًا بثنائية الظاهر والباطن ومراتب الكتابة والقراءة التي حدّدها ابن المقفع.

فهل يصبح النصّ حينئذ واضحاً بارزاً؟ وهل أن النصوص التي تتم في عالم الإنسان لم تعد لها قيمة الكشف عن الحكمة والعلم كشأن باقي الأخبار؟ وهل أن الخبر الذي يتم في عالم الإنسان لم تعد غايته شدّ انتباه القارئ وسلب ارادته؟

هي تساؤلات تتعمّق من خلال تصفّح الكتاب، فنعثر على كثير من الأبواب والأخبار تنقل أفعلا تتم في عالم الإنسان، ومثالها هذا الباب الذي نشرح منه هذا النصّ.

وقد نجد شكلاً آخر عن هذه الصلّة فيما يخطر من انتقال من عالم الإنسان إلى عالم الحيوان بطريقة لافتة للانتباه، في باب (الأسد والثور) تبدأ الحكاية في عالم الإنسان. لكن الثور بعد أن يتركه صاحبه يدخل عالم الحيوان ولا نجد عودة إلى

الخبر الأول أبداً، فهل أنْ عالم الإنسان هو الأصل، أم هو مجرد مهده يخلق مبرراً للخبر الحقيقي. إنْ ذلك قد يحتاج منّا إحصاء لكل الأخبار الواردة في النصّ ومقارنة وتأويلا لعلاقة عالم الإنسان بعالم الحيوان، ولكنّ البحث في هذه المسألة نخّار لها مدخلا آخر لعلّه يفيدنا في البحث عن سرّ النصّ المكنون.

هو مدخل لدراسة جانب المسكوت عنه من النصّ، وهو العلاقة بين طرفي الخطاب الذين يؤسسان النصّ وينشأانه من خلال طبيعة العلاقة بينهما. هذه العلاقة التي أغفلها المترجم ولم يشر إليها، هل تكون هي السرّ المخصوص بالفيلسوف. وإن كنّا لسنا فلاسفة، فللفلسفة رجالها فإنّ تفكيك النصّ القصصي يقتضي الإنتباه إلى حضور المتلفظ حين يعيّن الراوي مخاطبه ويتحدّث إليه، ويدفعه إلى الحرص على الاستماع، وليس ذلك لغاية تعليمه الحكمة فتلك متوفّرة في الكتاب تطلب من المتقبّل ويشرحها الرّأي، بل لغاية خلق الرغبة ذاتها. تلك الرغبة في السماع هي ما يسمّى الراوي إلى بلوغه لأنّه يريد أن يسمع، وعندها يكون الإبلاغ ممكناً، فأطراف الخطاب إذن تعطينا صورة عن حرص الراوي والمترجم على شدّ القارئ أو السّامع، إنّ الحكمة تطلب إطاراً تسمع فيه لأنّ ذلك غاية ما تطلب، ولأنّها تريد أن تسمع فهي تجتهد في البحث عن حيلة لوضع الكتاب. وليست الحيلة في تبليغ الحكمة بل في طريقة ابلاغها «فلم يزل هو وتلميذه يعملان الفكر فيما سألهم الملك حتّى فتق لهما العقل أن يكون كلامها على لسان بهيمين فوق لهما موضع اللّهُ والهزل بكلام البهائم وكانت الحكمة ما نطقا به» (12) فتغدو الغاية بذلك حرصاً على سبل الكلام المؤدّية للغرض أكثر من الحرص على الحكمة نفسها، إذ هي واضحة معلومة قبل بداية الخطاب، وليست الغاية الأساسية أيضاً تحويل الحكمة إلى السامع بل خلق سامع يحرص على التقبّل «ولم تزل العلماء من أهل كلّ ملة يلتصقون أن يعقل عنهم» (13)، فالغرض المقصود إذن هو خلق سامع، وهذا الغرض هو الذي فرض ذلك البناء المخصوص في الكتاب.

إن هذا المعنى نجد له تدعيما في (باب مقدمة الكتاب) ففيه من المقاطع ما يؤكد إحتفاء بالقول في تبليغ الحكمة (ولا يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا) (14). فيدخل بيدبا على الملك (ووقف بين يديه وكفر وسجد له واستوى قائما وسكت) (15). إن السكوت موقف سلبي وانتظار الرغبة في السماع عند الملك. وحين يقول له (قد فسحت لك في الكلام) (16) يسوق بيدبا نصيحة فتقع في نفس الملك موقع سوء وتعود الفسحة ضيقا في السجن والعقيد على بيدبا (17).

لأنه لم يخلق سامعا له رغبة في تقبل كلامه. ولكن القول يتمخض في ذات الملك فيعلم مبلغ نفعه فيؤكد «كان من الواجب أن أسمع كلامه وأنقاد لما يشير» (18) إن السماع تعهد للإنقياد الذي به يتم العمل بالحكمة. ومال بيدبا بعد النصيحة لم يكن بسبب مضمون النصيحة نفسها فقد شاع شبيهها في كامل الكتاب ولكن كان ذلك لأنه سلك سبيل القول الصريح ولم يتعلّق بطريقة الإبلاغ وحرص على المواجهة بالبلاغ.

بيد أن الملك أضى متقبلا نشأت عنده الرغبة في سماع الحكمة وحدد علاقته بالكتاب في جوانب هي ما ينتظره منه. فقال (وقد أحييت أن تضع لي كتابا بليغا تستفرغ فيه عقلك، يكون ظاهرة سياسة العامة وتذريتها على طاعة الملوك، وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية) (19) (وليكن مشتملا على الجد والهزل واللاهو والحكمة والفلسفة) (20).

فعهد ذلك الإنقياد لبيدبا السبل حتى يواصل القول على النحو الذي أراد «وإن الملك دبشليم قد بسط لساني في أن أضع كتابا فيه ضروب الحكمة (21).» فكان الملك على مدى أبواب الكتاب يجد الرغبة في سماع الحكمة أو هكذا شاء بيدبا، فأنقاد له وسهلت عليه سبل الكلام. فهل بعد هذا شك في أن علاقة أطراف الخطاب محدّد رئيسي في فهم أسرار الكتاب؟

إننا حين نتجاوز حيلة الكاتب على القارئ ونكشفها. نصل إلى التأكيد على أن

المقدمة قامت على الإيهام أيضا فالتحت على جانب وأهملت آخر، وهو جوهر تحيلها. وبالكشف عنه نبدأ فهم دور العقل والحكمة إزاء السلطان، من خلال بحث علاقة :

- الراوي الأول (بيديا) بالمتقبل الأول (دبشليم).

- والراوي الثاني (إيلاذ) بالمتقبل الثاني (بلاذ).

تتسم العلاقة بين الطرفين الأولين بطابع أساسي هو نجاح الراوي في خلق الرغبة عند المتقبل فتواصل السماع ولم ينتقطع وكان يمكنه أن يتواصل الى ما لا نهاية له، ولكن لو بطلت هذه الرغبة لانتهى الكتاب بأسرع مما هو عليه.

وتبدو العلاقة بين الطرفين الآخرين من خلال موقف ايلاذ من الملك حين قال له «فإنني لم أزل واثقا بنصيحتك وتديبيرك... وأنت محكم في ملكي تعمل فيه بما ترى وتحكم عليه بما تريد فقد جعلت ذلك إليك ووثقت بك» (22) فيجيبه «أدام الله لك أيها الملك، الملك والسرور فإنما أنا عبدك. لكن حاجتي أن لا يجعل الملك في الأمر الجسيم الذي يندم على فعله» (29) «فيقول الملك» «بحق قلت يا ايلاذ، وقد قبلت قولك ولست عاملا بعدها عملا صغيرا ولا كبيرا... إلا بعد المؤامرة والنظر والتردد إلى ذوي العقول ومشاورة أهل المؤدة والرأي» (24).

إن رفض الملك والتأكيد على غاية التعليم وموافقة الملك على موقف ايلاذ، يبرز أن غاية ايلاذ أن يصل الملك إلى مشاورة صاحب العقل، والمشاورة رغبة وحاجة إلى السماع، والمشاورة توجيه وإصلاح. هي أقصى ما يطلبه صاحب العقل عند ابن المقفع وهو موقف نجد شبيها به عند بيديا وبرزويه :

حين قال د بشليم لبيديا «قد وليتك من مجلسي هذا إلى أقاصي مملكتي فقال له : أيها الملك اعفني من هذا الأمر فإنني غير مضطلع به إلاه بك (25) فأعفاه من ذلك.

وقال كسرى أنوشروان لبرزويه «قل : فكل حاجة لك قبلنا مقضية فإنك

عندنا عظيم ولو طلبت مشاركتنا في ملكنا لفعلنا ولم نرد طلبتك» (26) فيكون جوابه شبيها بما ورد على لسان ايلاذ «إنما أنا عبدك يلزمني بذل مهجتي في رضاك» (25) ويطلب أن يذكر خبره في أول الكتاب حتى يبقى خالدا على الأبد حيثما قرأ هذا الكتاب.

إنَّ العقل مسلوب الحق ينشد مكانة متميِّزة تمنحه فرصة القول والإبلاغ. والعقل معقول مقيّد ينشد التحرُّر بالافصاح. وليس هدف الإبانة بالقول إلا تأكيداً على الإطار الذي يرسمه العقل لنفسه، هو أن يستبدَّ بالسامع فيغيِّر منه الموقف فالوجود. هذا الاستبداد نجد له صدئى فى قول ديشليم (ولقد زاد عجبى من اقدامك عليّ وتسلسلك بلسانك فيما جاوزت فيه حدك) (28).

إنَّ التسلُّط والاستبداد حكم العقل والحكمة بأفانين الكلام، تنقلب معه صورة العبد إلى نقيضها فيحقّق الحرية، وأداة التحرُّر هي التي تزيدنا فهمنا لسيطرة الوزير ايلاذ على النصّ وشيوع قوله. وتزيدنا معرفة بدواعي اعتماد الخبر في الكتاب لتبليغ الحكمة. إذ أن الخبر بما يحوي من عناصر واقعية أو لطائف النوادر على السنة الجيوان يصبح أداة تدعيم وتقريب لفكرة تصل ذهن المتقبِّل بالشرح. وإن عرض العلم في صورة لم تكن في الأصل أداته يؤكد الإحتفاء بالقول على نحو يظلمن حسن القبول.

إنَّ اختيار الخبر يضمن تحقيق غاية الحكيم، وهي غاية أكدنا على أنَّها ليست تبليغ الحكمة في الأصل، إنما هي تفنن وتدبير يعلن خطورة الكلام «والأمر الذي دعاني الى الدخول على الملك وحملني على المخاطرة في كلامه والأقدام عليه نصيحة اختصاصته بها دون غيره» (29) و «إن قال قائلًا إنَّ لم يمكنه كلامه خوفاً على نفسه». (30) إنَّ خطورة الكلام فرضت أن يبتدأ ببديها بذكر قول العلماء في الكلام ومتى يجب أن يكون وأي الوجوه يتخذ، وإنَّ خطورة الكلام فرضت أن يردّد ببديها أكثر من مرّة قوله «فإن فسح في كلامي» (31) «لما فسح لي في الكلام

وأسع لي فيه (32) وهي معاني تبين عن قيمة الكلام إبانيتها أن الغاية ترتبط بأدائها ارتباط السبب بالنتيجة وأن حيلة صاحب العقل أوضح ما تكون في القدرة على التحيل بالكلام. والكلام يعرض امكانات وافرة للتحيل أشدها وضوحا أسلوب التورية في البلاغة.

إن الحكمة بذلك في تخير موعد الكلام ومقامه «ثم إن يبدأ اختار يوما للدخول على الملك» (33) أما الحكمة ذاتها والدافع إلى إبلاغها فأتية من أقوال الحكماء السابقين. فتغدو صورة العقل عند ابن المقفع حكما ومواعظ وافدة من السلف، والحكمة خلاصة التجارب الماضية في الأزمان الغابرة اختارتها العقول وصفتها التجارب لتكون صالحة على مر الأزمان، وهي قواعد عامة موجبة للسلوك أو العمل لأن العلم «كالشجرة والعمل به كالثمرة» (34) وهي سنن تبني التجربة الفردية على نمط التجارب السالفة، فكانت كل الأخبار تعرض بصيغة «زعموا أن» المسندة إلى جمع غائب مجهول لكنه يقع في الماضي دون شك، هو ماضي العلماء والحكماء والفلاسفة الذين يتردد ذكرهم على ألسنة كل من مثل الحكمة في الكتاب..

فمجال العقل نشاط في التجربة والواقع يستخلص منها العبر كما تستخلص في الكتاب من الأخبار، وعمل في الذاكرة لاستعادة القول السائر المسطر في لوح الأسلاف والأوكين والحكيم هو الذي يجمع هذه الأشقات ويقدر على إعادة بنائها من جديد في تجربة واقعية، وهو أيضا القدير على تصريف الكلام لي مطابق مقامه، فلم يرتق العقل بذلك أن يكون أداة استنباط لقواعد جديدة أو أداة تفكير في القوانين التي تجري عليها الأشياء ولا سعى أن يكون بديلا عن السلطان، إنما هو قرينه الواجب وعلّة صلاحه.

إن العقل عند ابن المقفع يقيد الهوى ويعقل القوة فيمارس الرقابة ويحقق التوازن، وهي غاية يبدأ من وضع هذا الكتاب وتلك الأحاديث، هي غاية إصلاح

سلوك الملك بالقول إذ أن الخروج عليه أمر لا يستقيم له لقلة القدرة على ذلك « ولا يسعنا في حكمتنا إبقاؤه على ما هو عليه من سوء السيرة وقبح الطريقة، ولا يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا » (35) ولما بلغت الحكمة الملك قال له بيديا (إنَّه قد كمل فيك الحلم والعلم، وذكا منك العقل والقول والنية، فلا يوجد في رأيك نقص ولا في قولك سقط ولا عيب » (36) « واللَّه تعالى يقضي حقِّي بحسن النية منك، في اعمال فكرك وعقلك فيما وضعت لك من النصيحة والموعظة، مع أنَّه ليس المنصوح بأولى بالنصيحة من النَّاصح ولا الأمر بالخير بأُسعد من المطيع له فيه فافهم ذلك أيُّها الملك » (37).

فلماذا يواصل بيديا التأكيد على وجوب اعمال الفكر في الكتاب وما حواه من موعظة ونصيحة وقد تكرَّرت عبارات الشرح (إنما ضربت لك هذا المثل لتعلم..) طوي الكتاب وفسَّر عند قراءته؟ ولماذا يعلن أنَّ الملك ليس أولى منه بالنصيحة أو الأمر بالخير؟ هل في ذلك حرص على وجوب السعي إلى تغيير الغاية والأداة وقد بطل شرطهما حين قرأنا في آخر الكتاب: « فلما انتهى المنطق بالفيلسوف إلى هذا الموضوع، سكَّت الملك » (38) اعلنا عن انتهاء الرغبة كل هذه الأقوال تفصح أنَّ الحيلة أداة الحكيم ليبلغ غاية تغيير الملك وأنَّ اللسان تنفيذ الحيلة وحبك خيوطها، والحكمة مضمون ذلك القول « والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها وتأديبها بحكمتها » كما قال بيديا، فالقول يتضمَّن حكمة غايتها التأديب والنصيحة كما يتردَّد على ألسنة الحكماء وأصحاب العقل في كلِّ الأبواب، وأن يبلغ الحكيم غاية التأديب وجب أن يضمن حسن القبول، ولا يتحقَّق ذلك إلَّا بضروب التحيُّل والتمويه. ولكنَّ التحيُّل حين يعتمد التمويه يغدو سلطة تستبدُّ بالسامع والملك، وإن علمنا أنَّ التدبير صنو العقل وقرين الحيلة في الكتاب بلغنا بعض صور التدبير فيه، فتجاوز الحيلة بذلك التمويه في سبل التبليغ إلى التمويه في غايته، وتنفَّى وظيفة الإصلاح لتصبح قلبا للعلاقة المألوفة بين الحكمة والسُّلطان، فتجاوز بذلك ما بدا لنا من غايات الحكيم

في حرصه على الإبلاغ دون البلاغ ذاته إلى رسم غاية خفية تبدأ حين تنتهي الغاية الأولى. إذ لا وجه للتحويل إلا في خلق الرغبة في السماع ولا تخلق هذه الرغبة إلا حين تكون أداة تبطل تعليم الحكمة للتأديب بما يلفظه اللسان لأجل غاية لا تقال، حتى لكان كل الكتاب سلسلة من الحيل تبدأ بما يلوح منها في أفعال الشخصيات إلى حيلة بيدها على دبشليم يجعله سامعا مطيعا فعيدا لصاحب الحكمة وإن ملكها. وحيلة كل صاحب عقل يبدو تحيلا للملك، بيد أنه يبطن تحيلا لنفسه، كما تبيننا ذلك من خلال الباب الأخير وخاتمة الكتاب.

ويمكن أن نرسم العلاقة بين أطراف الخطاب من خلال العناصر التي حددها جاكبسون (47)

السياق (كل المراجع التي تحيل عليها الأخبار)

(وقد تكون المراجع ذهنية : القيم)

المرسل (بيدها) الرسالة (الحكمة في أبواب الكتاب) المرسل إليه (دبشليم)

إتصال (قناة شفاهية مكتوبة : الإخبار والقراءة).

السّن (الإنسجام بين ما ينتظره دبشليم وما ينتظرونه بيدها)

ثم تكون الحيلة غلافا يضم هذه العناصر على نحو معين، هي كالمقام لذلك الخطاب. وإن كان المقام في البلاغة يكيّف المقال حتى يطابقه. فإنّ الحيلة هنا تشكل هذه العناصر وأشكال العلاقة بين أطراف الخطاب على نحو مرسوم سلفا فتتحقق الرغبة في السماع ويطلب السّامع ما لا يريد إلى أن يحقق غاية المرسل، ولا تفهم الحيلة إلا بحرص المرسل على أن يكون كلامه قابلا لأن يفهم من المرسل إليه وفقا للقوانين التي تفرضها السّن والتي هي أداة فكّ الرسالة وفهمها، فتبدو الرسالة ذات وجهين : أحدها موافق للمنتظر فيفهم والآخر مخالف له فيبقى مستورا.

إن كل ذلك قد يكون تلمسا لسر الكتاب المكنون، يطلب فيه العقل الخروج من القيد إلى الحرية في إطار يشهد محاصرة الأهواء والقوة لكل صاحب عقل، أو قد يكون تهيدا ليستبد العقل بالأمر كله بعد أن يستبد بالسَّماع والمرسل إليه، أو قد يكون ابن المقفّع يضمّر موقفا ويحرص في السَّماع، وهي التي أنشأت الكتاب، فكان بطلانها إعلانا لنهايته.

إنّ هذا القول يشبه ما نجده في آخر (باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين) حين ختمه بقوله «ألهمنا الله أن نكون من المؤتمرين لما يأمرون والمنتصحين بما ينصحون» (39) فبيديا يعلن تبدل رغبته فيوحي بغاية جديدة تستدعي الفهم، لعلها أن تكون نية تحويل العلاقة بين الطرفين. فما حاجة بيدبا إلى النصيحة التي وجهها للملك على امتداد الكتاب؟

إنّ هذا الباب قد يزودنا ببعض الجواب، إذ طلب دبشليم أو دفع إلى طلب مثل (في شأن الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه) (40) فما أقرب معنى هذا المثل لقول بيدبا في خاتمة الكتاب، وما أبلغ قول الثعلب في نهاية هذا الباب حين قال «ياعدو نفسه ترى الرأي للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يتمكن منك عداوك» (41). إننا نتساءل عن حاجة الملك إلى هذا المثل حتى يطلب سماعه وليس له علاقة بما حدّده سابقا من أغراض الكتاب؟ لعلّ مشيئة بيدبا تدخل في نهاية الكتاب لتعلن أن الحكمة وإن كانت لا تغنى على الإنفاق فإنها تبقى أداة ينبغي أن تعود بالنفع على صاحبها، فبيديا نصح الملك وعلمه وبين له وجه التصرف في مسك الرعية بالسلوك الحسن، لكنّ اعتبر نفسه كما لك الحزين سيء الحظ، رغم قدرته التي قال عنها الثعلب (يا معشر الطير لقد فضلكن الله علينا. إنكنّ تدرين في ساعة واحدة ما ندرى في سنة وتبلغن ما لا نبلغ (42)). فقد يكون بيدبا كثر عن نفسه بمالك الحزين، وعن دبشليم بالثعلب، وعن الرعية بالحمامة وقد كان تحيّل من أجلها ونصحها الملك في سبيل صلاح أمورها.

إنَّ هذه الصُّورة قد توكَّدها أداة الحديث عن الحيوان بضمير المؤنَّث العاقل، وليس المؤلف ما وجدنا في هذا الباب، وليس المعهود أيضاً أن يدفع الملك الحديث بقوله (وما مثلهن؟) ثم إنَّ هذا المثل لم يسبق بشرح ولا ختم بموعظة وفائدة شأن بقية الأبواب. وإنَّ الثعلب الذي قد يكون كناية عن الملك دبشليم يحصل على الحكمة في سنة وهي مدَّة تأليف الكتاب التي حصل فيها دبشليم على الحكمة، (43) أفليست نهاية مالك الحزين وقتله هي نفسها نهاية بيدبا، فحين بلغ الملك الحكمة لم يعد في حاجة إلى بيدبا فوجب أن يموت حقيقة أو مجازاً، لكنَّه حين أوحى بذلك وأخفاه يعلن أنَّه يعي خطورة موقفه ويبطن رغبة في التحيُّل لنفسه. وللتحيُّل في الكتاب قيمة تجعل منه إطاراً للحديث وموضوعه، وتكرَّر الأقوال التي توحى بهذا المعنى، يقول علي بن الشاه الفارسيّ (فكَّر في وجه الحيلة في صرفه عما هو عليه) (44) ويقول بيدبا (على أنَّ العاقل قد يبلغ بحيلته ما لا يبلغ بالخيال والجنود) (45) ويقول ابن المقفَّع (.. يحتالون بصنوف الحيل ويبتغون اخراج ما عندهم) (46) على أنَّ يوحى بمعنى قرآني كان فيه الطير معلماً للإنسان الآثم.

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

وقد لا يكون في النصِّ سرٌّ إنَّما هو الوهم والخدعة أو الإيهام والتحيُّل، يسعى به النصُّ لبناء عقد يربطه بمتقبله. فهل نقول إنَّنا كشفنا عن سرِّ الكتاب وباطنه ؟ ولكن أيَّ سرٍّ من كلِّ ذلك وماهي إلاَّ أصناف من الإحتمالات متضاربة متباعدة يغدو معها الكلام دورانا على نفسه، وخواتيمه محاكاة لمقدّماته، إنَّه العود على البدء وإنَّه سرٌّ خلود النصِّ، وإنَّه لمن نكد الحظُّ أن ننسب شرك القراءة لعالم الطير فننسخي أوَّل الواقعين.

خاتمة :

لقد كان النصّ الذي حلّلنا بما حواه من أشكال مخصوصة في البناء صاغتها تقنيات القصّ مدخلا أبرز طريقة البناء تلك واضحة وطفّت فيها الفواعل على الأفعال وهمنّت الأقوال واستبدّت بأطراف النصّ. وليس ذلك إلا لأنّ الحكمة قول يبلغ المتقبّل بالكلام، والكلام رسالة تقتضي متقبّلاً ينتظر منها غاية، وحين كانت رغبة السّماع استبدّت إيلاذ بالنصّ وتجاوزته إلى آخر الباب فغيّر أسلوبه ولم يغيّر غايته، على أنّ انفتاح النصّ على الكتاب أبان لنا عن خصائص كتابته والدلالات التي يخفيها، فشاع قول بيدبا وصرفه كيفما شاء. فكان العقل تدبيراً وتحيّلاً وحكماً، خيطاً يربط أطراف النصّ الكامل، حتى يطرح تساؤل عن هذا العقل الذي يطرح الحكمة إصلاحاً ويتأهّب للإستبداد بأمر من يصلح، كأنّ هذا العقل الناشئ يمهّد لمرحلة سيشتدّ فيها عوده مع الجاحظ وابن خلدون فيضحي وسيلة للبحث وأداة للمعرفة، بعد أن كان صياغة للأقوال العامّة التي تشيّد من الأحداث العابرة وأمثالا تتجاوز عصرها، وبعد أن كان طريقة لتوجيه السلوك وإجراء للأدب بمفهومه المقفّي.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الهوامش :

- (12) - (باب مقدّمة الكتاب) من - 33.
- (13) - (باب غرض الكتاب) من - 52.
- (14) - (باب مقدّمة الكتاب) من - 19.
- (15) - نفس المرجع من - 21.
- (16) - نفس المرجع من - 22.
- (17) - (ثم أمر بحبسه وتقييده) - نفس المرجع من - 27.
- (18) - نفس المرجع من - 28.
- (19) - نفس المرجع من - 31.
- (20) - نفس المرجع من - 32.
- (21) - نفس المرجع من - 30.
- (22) - (23) - (24) - (باب إيلاذ ويلاذ وإيراخت) من - 220.
- (25) - (باب مقدّمة الكتاب) من - 29.

كلمات منتقاة

من النَّاسِ من لا يجد الحقدُ إليه سبيلاً ، لا يكاد يَمَسُّ قلبه حتى ينتفض كالمددوغ ، فيقذف به تَوّاً كأنه السَّمُّ الزُّؤَام ، ولا يقرّ له قرار ، ولا تهنأ نفسه حتى ينفيه عنه ، ويتخلص منه ...
ومنهم من يفتح له صدره ، ويكلّؤه ويغذّؤه ، ويحتضنه ..
عشيراً له مُلازماً ، وكأنّ لا غنىّ له عنه ، ولا حياةً بدونه ، كالداء يُتداوى منه به ، لا صبر له عليه .

..*

كَانَ المسيح ، عليه السلام ، أنبلَ ضحيّة للصراع الآدي بين قوَى الخلق والتجدّد والحفاظة والتقليد .
لقد أوقف اليهودُ الزّمن ، وجسّدوا التاريخ ، وأغلقوا في وجوههم إلى الأبد باب الإجتهد والإيمان بالحياة ، ولسانُ حالهم يقول : لقد بُلِّغَ بنا الإقصى ، وملكنا السّرَّ القدّس ، وتبوّأنا عرش الكمال ، فهل في الإمكان أبعدُ مما كان ! ؟

..*

دينك ودينك وإنسانيتك ... كل ذلك حتماً رهين موقفك من أخيك الإنسان ...
صنّوان لا محالة أنما ... فلا حرمة ولا كرامة ، ولا طعم للحياة ، ولا معنى للوجود عندك دون غيرك !

..*

رَبِّ خَلْمٍ مُطْبِعٍ مُغَرٍّ يُصَوِّرُ لَكَ شهوة خفية أو لذة ممنوعة طوعاً البنان حتى كانَ النفسُ تضحك من ذاتها ، ويسخر بعضها من بعض .

..*

الإبتسامة روضة نور ... الإبتسامة بذرة سعادة ...

..*

لو حَمِدَتِ اللّهُ حَمْدًا يَتَنَفَسُ مِنْ أَحْشَاءِ الْكِيَانِ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ تَخْطُوهَا ، وكلّ حركة ، وكل نفسٍ لَشَارَفَتِ الْإِيمَانَ الْحَقَّ !

ملاحظة : وقع خطأ في كلمات العدد 36 سبتمبر اكتوبر 92 مما استوجب التدارك . والصواب (فهي انسب ما تكون جيئً ووضوحاً وحُسناً)

الشعر يقرأ ...

(1) هي نثر "همى الأرض" *

في البدء كانت الكلمة...

والصرخة....

أول الصمت كي يولد «سيزيف»...

ثم يكون!..

ARCHIVE ***

«سيزيف» هذا <http://Archivebeta.Sakba>

إنسان في الورى يحيا....

لكنه يحمل همًا!..

الرؤى....

تسكنه نهرًا بلا ضفاف....

ريانا، ريانا!..

وعلامات استفهام تجتاحه....

بحرا بلا شصان!..

في القلب جمرة حكمة...
اللسان ناطقها الرسمى...
والمترجم قلم سيال!...
كانت تسمع امرأة...
تسمع أرضا...
تسمع وطننا...
كانت تسمع من آلام الانسان جبال..

* * *

«سيزيف» شاعر...
يعشق المشي على الحمى!
الحرق يتعبه كثيرا...
وللشعر عنده نكهة أخرى، حين يخلو من تعيب اليوم...
من لفظ الضفادع...
ونقيقها ومن صوت الحمير!..

* * *

القصص كما الشعر مثهم به...
هو عنده ضرب من الفلسفة... وفي الحاليتين...
يجمع بين نثر وشعر!..

* * *

«سيزيف» هذه الشخصية التي تتفرد في حمى الأرض جنس يتحوّل في الضمائر، بين المتكلم المفرد، مخاطبه الهي حين تنمو ذاته في السؤال، في محاولة للتجاوز... ثم تدخل الذات موضوعها حين تكبر المناسبة... فتعائق جمعها متكلما... مخاطبا أو غائبا، ويبتدى السرد تشييد موضوعيته..

«سيزيف» هذا مركز لذاته الحمى، يعتليها وينظر حولها منه، نحو دائرة ذات شعاع بصريّ محدّد البعد، فيرسم لوحة، قد تجسّد الواقع أحيانا بلا لبس وقد تفرق في الوهم... بلغة تتوكأ على الشّعْر بما في لجّ التأمّل عساها تلتقط مواعظ قد تصلح بها الأرض، وقد تفسد... وإن غضبت حيناً، فلا أكثر من صمت قد يطول... أو رغاء ذي زبد، سرعان ما يذهب جفا..

إنّها هذيان الأرض حين تصاب بالحمى، تطلقه يجري خلف السراب محاولا تجسيده، فيرفض هذا الأخير التّجسّد..

(2) وفي قصّة: «النخل يموّت واقفا» *

هذا النخل الذي يائي، إلّا أنّ سيموت واقفا، كم كانت توشحه الرّموز!... والعراجين فيه، كم كانت مثقّلة، بالكلام الذي له روح : ... وجذوره، كانت تضرب في عمق الواقع والتّاريخ، وفي تراث الشّعب، تقتنص منه الفعل وتبني المستقبل الأرقى..!

هذا النّخل، لا يستحي أن يتعرّى لغة مباشرة تبلغ أحيانا حدّ الإنشائيّة، لكنّها في موضع أخير، قد تلامس بلاغة الجاحظ في السّهل الممتنع، وفي القليل الدّال، وخبر الكلام ما قلّ ودلّ!

لم يكن هذا النّخل أنانيا يتعشّق ذاته... إنّّه يقف في صلب الموضوع في صراع دائم مع الواقع المتردّي.. كان يلتحم بالأرض رمزا لشخوص يكدحون في

الأرض... هم مغمورون كزهور بين الانقراض.. وبرغم التّاريخ يطمسهم، فهم
يصنعونه ويعيشون "أياماً للفرح، وأياماً للحزن... .. كانوا يحيون، وإذا جابهم
الموت فهم يموتون في شموخ كالنّخل، لا يموت إلا واقفاً!...

وفي كاريكاتور "ناجي العلي" *

هو ذا الطّفل الحنظليّ الذي يشدّ...

معصميه إلى ظهره بلا قيد!...

يرصد الطّعن إذا جاء من الخلف!...

سأهما كان دوماً أمامه...

في فسحة من واقع الدّنيا بأبعاد...

لا تحدّ!...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

انظر إليه، يراقب الأحداث على...

التّوالي تمرّ!...

قد تظنّ أنّه بلا موقف!...

لكن رويدك...

لا يغرّتك...

هو ذا يلتقط الواقع بعين...

براءة...

ويعتق معصميه.....

كي ينحت من روحه كلما...

مفعما بالإباء!....

هو ذا يبتني جسر العبور إليها....

كي يؤثت جسده الخراب...

من صوّته والدّماء!....

المقاربة والإستنتاج :

عمق التأمّل في "حمّى الأرض".

مع واقعيّة الفعل في "النخل يموت واقفا".

في لغة.. صمتها كصمت "حنظلة" العلّي...

تعتنق الموضوع في مكانه مشحونة بأبعاد أرحب من هذا الكون لتتمحور في الإنسان في صراعه مع الواقع المأزوم!...

هو ذا القصص... هو ذا الشعر والرسم... هو ذا النصّ الفريد الذي ترتنيه!...

هو ذا الصّرح الأدبيّ الشامخ الإبداع الذي لا يدّ نيّتيه!...

صالح الطرابلسي

*** حمّى الأرض :** مجموعة قصصيّة للكاتب الشاب الميزوني البنّاني صدرت

عن دار النّورس سنة 1989.

*** النخل يموت واقفا :** مجموعة قصصيّة للكاتب الشاب ابراهيم الدّرغوثي،

صدرت عن درار صامد سنة 1989.

*** حنظلة :** شخصيّة تظهر في كامل رسوم ناجي العلّي الكاريكاتوريّة ينفرد

بها إبداعه.

شفاها مطرزة بالفراغ
أعيدي : الجمال/الدلال/الوصال/
الظلال/الصلال/المجال
أعيدي : " الخول " و " حزم "
ودارة جلجل
أعيدي : حبيبا ومنزل
أعيدي إلينا بخور المعابد
أعيدي لنا السحر والسحره
أعيدي الهوادي وقيد الآوابد
أعيدي لنا البحر والسحر ...
أعيدي : التثنى / التجنى /
التمنى ...

سلام على شهرزاد النساء
سلام على آخر نخلة
أصلها ثابت ..
وفرعها في السماء
سلام على خالك الأوحـد
سلام على الحجر الأسود
سلام على عنبر وسط مرمر
سلام على القدينهى وبأمر
سلام على حبة في القلادة
سلام على من هواها عباده !

شعر : محبـد الرحمان العبيـد

أعيرينا صمعتك يا شهرزاد
أعيرينا دفء العيون الحزينه
أعيرينا بعض الهدوء الجميل
وبعض السكينه
أعيدي : النخيل/الخيل/الصهيل/
الصليل /
أعيدي : الرجال/النزال/النصال
أعيدي : الصفوف/السيوف/المحتوف
أعيدي : الخلائيل والمحال والمحمل
أعيدي : المراود والمكحلة
أعيدي لنا القرط يهوي بعيدا
أعيدي إلينا ضفاف القصيده
أعيدي لنا " حنار " و " ليلي "
أعيدي لنا ألف ليلة وليله
أعيدي لنا خيمة ووتر
أعيدي : الزمان الذي لم يعد
أعيدي : الشباب/المخضاب/
الرضاب/العتاب/
الصحاب/الشراب/الحباب
الرباب ...
أعيدي لنا " مهجة " و " رباب "
أعيدي : خدودا عليها الندى
أعيدي : " خلودا " و " قطر الندى "
أعيدي إلينا كروم السّام
قدودا مطرزة بالفغام

حبيبتي والمطر

شعر حرّ : محمّد بن الأصغر

لم تأت حبيبتي في الموعد،
اليوم مُطر ومُرعِد
لم تأت نابها مطر غزير
لم تأت نابها خير كثير
مطر غزير، غزير
خير كثير، كثير

ومضيت انتظر،
أن يشق الغيوم وجه القمر،
ومضيت انتظر وأحملك،
عسى البرق يبرق،
فتتبدّد السحب وتتمزّق،
ويبدو رجبها المشرق.

ومع كل قطرة مطر،
تتصوّر لي الصوّر،
حبيبتي في النافذة تنتظر،
أن يكفّ المطر.

ومع كل قصفة رعد،
يتبدّد البعد،
ويتجدّد الوعد،
حبيبتي سنأتي من بعد

البندقية (فنيزيا) أوت 1982

الى " يوسف "

شعر: موحى الدين الشلالي

لذكرى الصديق الفقيد ...

(الشاعر " يوسف الورغي " ...)

مل التاريخ اعوجاج الليل ...

وملت رياحيني وهج العذاب ...

قالت ...

لو انتظرت قليلا ...

لسافر اليك الماء هوغلا بالحناء ...

... ويذهب النرجيلة المطرزة بالاغنيات ...

قالت ...

لو انتظرت قليلا ...

وحط على القلب سعف

يشبه القلب سعف

يشبه غربة الفياقي المسورة بالجمر ... والبلح ...



أحلى الكلام

شعير، الهادي العبدلي

وهضيت ...

في رحمة الأيام

هناك ،

على قارعة الزمان

ضحكت من أمر فني

لقد نظرتي

على بوابة العمر

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ولما ،

لم أدر أنني أدري

قطعت الطريق في صمت

خلعت عني ثوب السفر

جلست إليه ،

تأملت فيه بقايا صوري

عشت بها الأقدار

على كفها المتراخي

ولما ،

لم أدر أنني أدري

عائفته وبكيت

من فرط وجع المتاعى ...

19 جوان 1992

* - سليانة

نقد :

القلق والجذب والخصب في "الرجل الضباب" لربيعة الفرشيشي

بقلم : إبراهيم بنسلطان

تمهيد :

أصدرت الأديبة ربيعة الفرشيشي مجموعة قصصية تحمل عنوان «الرجل الضباب» تتضمن 18 قصة تقع في 107 صفحات متوسطة الحجم في إخراج أثيق وورق صقيل عن دار الجيل الجديد.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

حول اللغة والأسلوب :

أعلن في البداية أن كتابات ربيعة الفرشيشي ليست باليسر المعهود في كتابات غيرها من الأدباء والأديبات، فالقارئ في حاجة إلى بذل مجهود ليمسك بخيوط أحداث قصصها وشخصها وليلج مغاليقها، كأن كتاباتها رموز تحتاج إلى تفسير وقد تثار هنا قضية ظلت متجددة : هل نكتب للنخبة أم لجمهرة القراء ليستمتعوا بهذه الآثار الأدبية عبر ولوج واقعهم المجدب الصعب الخصب عبر خطاب يكون في مستوى فهمهم ؟؟؟

لغة المجموعة شاعرية صافية جميلة لكن مضامينها ليست سهلة

الإدراك، هل كَوْنُ الكاتبة امرأة جعلها تختار نمطا ضبابيا يصعب المسك بمفاتيحه؟ أو وضع المرأة الاجتماعي وما يكبلها من قيود وسعيها للانعقاد دفعها لاتباع هذا الأسلوب! «تبذل طاقتك لتخليص رجلِك منوثاق تحسه ولا تراه» (من قصة «قائمة شهلولة»، الصفحتان 64 و 65).

فربيعة تنطلق من فاصلة، من جزئية صغيرة لتمسك حبل القص في حركة ذهاب وإياب بين الماضي والحاضر في حوار متصل منفصل بين الذات والآخر لتعلن في النهاية موقفا في أغلبه متفائلا.

لن تجد في قصص ربيعة شخوصا مكتملة البناء واصحة المعالم تعايشها في حاضرك بل هي أطياف تمثل من الماضي ثم تختفي، أحداثها غير بيئة، فلا تسلسل ولا قصة دائرية، فلا الشخوص تشدك بوضوحها ولا الأحداث وإن كانت خواتم قصصها متفائلة، يغلب على أسلوبها طابع الحوار الفكري وتقطيع الحدث مما يجعل متابعة نصوص المجموعة عسيرا أحيانا.

بعض مضامين المجموعة :

تبين لي بعد قراءة المجموعة أن العناصر البارزة فيها هي القلق والجذب والخصب وقد توصلت إلى ذلك عن طريق إحصاء ألفاظ تواتر ذكرها بصفة تثير الانتباه وتتبع ما يؤكد ذلك عبر نصوص المجموعة.

(1) القلق :

١ . السجائر :

إن ما يجسم القلق في هذه المجموعة هو لفظ السيجارة، لقد وردت ألفاظ (السيجارة - السجائر - سيجارتك الألف) : 69 مرة ولفظ الأعقاب : 10 مرات، علبة : 4 مرات، الدخان : 51 مرة، فتكون الجملة : 134 مرة.

تبدو السيجارة حيناً وسيلة للإفلات من واقع مأزوم : «تعبث أصابعه ببقايا سيجارة أبت أن تفارقه وأبى هو أن يفارقها، كأنه يخشى أن يعود إلى واقعه.. بانعدامها هي» (قصة «النشوة الثالثة» صفحة 73)، «نظرت إلى سيجارتك وهي تغريك بالإبحار في عالمها واكتشاف خباياها» (قصة «السيجارة رقم 2000 ص 12)، والسيجارة هي وسيلة للتعبير : «وسيجارتك هي طريقتك المفضلة للتعبير عما تريد» (المصدر السابق ص 12)، والسيجارة تحيل السارد إلى الطفولة فيتذكر شيخاً قوياً كان «يجوب كل شوارع القرية يلتفظ أعقاب السجائر الملقاة أرضاً» (المصدر السابق ص 13).

وفي قصة «النشوة الثالثة» كانت النشوة الأولى هي تدخين سيجارة، ثم إن الكاتبة تؤنس السيجارة فتصير امرأة تتغزل يعينني مدخنها : «غاصت (السيجارة) في عينية العميقتين.. رددت في صمت.. «لو كنت امرأة.. للهثت سنوات عمري وراءهما». (ص 73)

هل السيجارة رمز للقلق والحيرة أم إثبات للذات أم بحث عن توازن نفسي في مجتمع لم ينصف المرأة تماماً؟ أم هل تركزي

الكاتبة على مدلول السجائر جاء تشبها بالرجل الذي يدخن فتكون
السيجارة رمزا للتححرر؟

والسيجارة إضافة إلى أنها عنصر تنفيس فهي تلوث واقعنا
كعديد الأفعال التي تلوث جوهر الإنسان : «لا يهتمون بما يفعله
(دخان السجائر) بهم» (قصة السيجارة رقم 2000 ص 14)، «الدخان
يعم الأرجاء ويغمر النفوس» (نفس الصفحة بالمصدر السابق)،
«دخان سيجارتك يشبهك» (المصدر السابق ص 11)

يرتفع دخان السجائر فيملاً الفضاء فتعشى الرؤيا ويكون
الضباب.

ب . الضباب :

ورد ذكر (الضباب، وجهك الضبابي، صوتك الضبابي) 9 : 28 مرة،
وورد ذكر (السراب، الشبح، شبحان، الخيال) 21 مرة، تكون الجملة
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
49 مرة.

الضباب يلف الأشياء ويتلف معالمها ويسلبها الحياة : «ضباب
كثيف يلف الأشياء.. يتلف معالمها.. يفتك منها الحياة (قصة الرجل
الضباب ص 30)، اندمج كلنا بالضباب : «أنت والضباب واحد،
تلاكما يبحث عن ذاته» (المصدر السابق ص 31)، «أحسستك ضبابا
يفني» (المصدر السابق ص 35)، والضباب هو الدموع بعيوننا :
«فتحت عينيك، لون الضباب وطعم الألم..» (قصة "عندما يأتي
الربيع" ص 57)

تري ماهو مدلول العنوان "الرجل الضباب" ؟ هل هو حلمنا

نسمى إلية يكتنفه الغموض والضباب؟ لكن شخوص المجموعة لا يبتلعهم الضباب، فهم يخترقونه نحو الضوء :« الشبحان البعيدان يحترقان سياج المطر والضباب » (قصة صورة رابعة لوجهك الأول ص 89)

إن القلق الذي تعيشه شخوص المجموعة وما يكتنفها من ضباب ناتج عن واقع مجذب.

(2) الجذب :

لقد ورد ذكر الألفاظ الدالة على الحرارة والاحتراق : (حار، حرارتها، اللفح، الاشتعال والالتقاء، الالتهاب، النار، الجمرات، الاحتراق، الجذوة، اللهب، علبة كبريت، عود ثقاب، البراكين، الشمس، الصحراء، الجنوب، تكهرب، ساخنيتين..): 90 مرة.

إن فضاء يعيش مثل هذه الحرارة وهذا الاحتراق ستكون نتيجته الجذب والجفاف. <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

إن الجذب رافق الراوي في طفولته وفي كبره، يقول عن جذب أيام الطفولة : «تجتمعون ضحى أنت وصبيان الحي تحملون أواني قديمة متهرئة وطاسات صدئة وبأياديكم الصغيرة توقعون عليها بعصي دقيقة تطاردون شبح الجفاف الذي زغتصب أرضكم وسرق ماء السماء منكم» (قصة قاتنة شهلولة ص 66).

إن هذا الجذب يولد الحرمان الذي تكرر ذكره : (الحرمان، حرمتها): 31 مرة «الحرمان أينع بأعماقنا» (قصة «مشوه أنت» ص 79).

هذا الجذب وهذا الحرمان يتركان شروخا في ذات الإنسان تسبب له تشويها : « لقد شوهوك فشوهت كل من حولك » (المصدر السابق ص 80 و 81)، «كلنا مشوه، صامت، كلنا محروم وإن أخفينا ذلك» (نفس المصدر ص 81)، «الإنسان مشوه بداخله، مدنس يزرع التشويه أينما حل» (المصدر السابق ص 81)، «يطل عليه وجه أبيه المشوه كلاهما متألما» (قصة أربع ساعات من حياتك ص 9)،

هل تظل شخوص المجموعة مستسلمة تعيش الجذب والحرمان ؟ لا إنها تحلم بواقع أجمل (تكرر لفظ الحلم والأحلام 65 مرة)، تتمرد على رضعها، تسترجع ذكريات الطفولة محتمية بها وبرائحة الجدة والاب والام : «رائحة أمك فقط لا يمكنها أن تتلاشى من داخلك» (قصة «ولن تضيع مني ثانية» ص 52)، «كن الحلم الآتي يا ولدي، أبوك أخذته الأرض» (قصة :الزمن الآتي» صفحة 40)، «اقتربت من أبيك.. اندسست تحت برنسه.. سرى الدفء في جسمك الصقيع.. سألته أن يروي لك حكاية عن البحر» (قصة البحر الأخضر ص 20)، إنها تحلم بالبحر والبحر يعني السفر والموت والمغامرة في العالم الرحب : «كم تحب البحر - البحر جزء منك.. أنت تشبهه تماما.. في غضبه وهدوئه» (قصة البحر الأخضر ص 18).

إنها تحلم بالخصب :

3 . الخصب :

إن رمز الخصب في هذه المجموعة هو المطر الذي تكرر ذكره 94 مرة، كما أن لفظ الخصب تكرر 11 مرة، وتكرر لفظ الزرض البكر المعطاء : 88 مرة و ألفاظ (الماء، بخار الأنفاس، الوادي، النهر، دجلة،

النمرات، الارتواء) 83 مرة، و (الخطاف، الحمام البيض، العش، أوكارها، الربيع) : 25 مرة، و (الزهر، الزهرة، يزهر، أينعت النرجس، الورد، الوردي) : 16 مرة، (رذاذ، ندي يهطل...) 30 مرة الجملة : 347 مرة.

المطر هو الحب والحياة وعنفوان الشباب والانبعاث : «حتما وأنتك تحب المطر مثلي، تتمنى السير تحته.. معانقته في صمت.. فالانصرار في المطر هي الروعة القصوى» (قصة ولن تضع ثانية ص 45)، «المطر المحروم من الأرض يرويها كلاما صادقا.. لا يصل أذاننا.. لا نفهمه، لغة المطر مع الأرض.. لغة الحرمان الذي لا ينتهي..» (قصة مشوه أنت ص 78). علاقة أشخاص المجموعة بالمطر علاقة التحام، روت الجدة لحفيدها : «و ذات مساء لا أنساه.. حلت بيننا مدرارة سخية.. خرج إليها (الجد) فاتحا ذراعيه.. قبلها.. احتضنها.. التحم بها» (قصة الزمن الآتي ص 40)، المطر يطهر الأرض من الدنس : «المطر النازل غسل الأرض.. بث فيها دفئا وحرارة» (المصدر السابق ص 78) و «المطر يغسل الأرض... تتعري أمامه بكرا معطاء.. يخصبها نباتا وأحلاما.. تهبه جمالا ووفاء..» (قصة حظك هناك صفحة 52)، «فأصبحت (الأرض) طاهرة غضة، وقد خرجت لتوها من حمام طبيعي منعش» (قصة الشجرة الحكمة ص 96)، والمطر هو عنصر إخصاب وموت : «جذك كان يحب المطر.. المطر هو الذي قتله..» (قصة الزمن الآتي ص 40).

إن طبيعة شمال بلادنا (بلدة فغفور أساسا) حاضرة في المجموعة بأرضها المعطاء، بأمتارها المخصبة المطهرة، بأريجها، بصبر أهلها وهم يتحلقون حول كؤوس الشاي في ليالي الربيع القمرية كـ «قديما وفي ليالي الربيع القمرية يجتمع شيوخ الحي في الدكان

الوحيد به للتسامر ولعب الورق» (قصة صورة رابعة لوجهك الأول ص 84) وحيث حضن الأب والأم والجدة وعالم الحنان والطرائف: «تلملت في مكاني صاحكا وأنا أتخيل حمار جدتي المتصابي يتعطر ويتزين.. ويهذب صوته إضاء لها يمكن أن يكون» (قصة الزمن الآتي ص 40).

خاتمة :

إن هذه المجموعة تعبر عن واقع قاس يعيش فيه إنسان مأوم تدلهم أمامه السبيل ، لكنه لا ييأس ، يصارع هذا الواقع صراعا ليس عبثيا «فسيزيف» هنا ينتصر لموقف ما، ينتصر للخصب للأحلام للحياة فتنتفتح أمامه أبواب الأمل.



قصة قصيرة ...

...صورة رابعة لوجهك الأول...

لربيعة القرشي

الإهداء : ... إليك ... وأنت تهرب منك ... إليك ...



الصورة الأولى...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.sakhr.com>

... ارتحت إلى كرسيك الدائري ... قمت بنصف دورة من اليمين إلى الشمال ... عدت إلى اليمين ثانية ... أخذت علبة السجائر من على المكتب ... أشعلت منها واحدة ... انطفأت جذوتها أشعلتها ثانية ... رفضت الحرارة المصوبة نحوها ... تأملتها سقطت من بين إصبعيك منتصرة متحدية ... مددت يدك إلى الصورة أمامك ... تفرست فيها ... ملامحك وأنت صغير بدت لك غريبة عما أصبحت عليه الآن ... عيناك الغائمتان تخترقانك ... تعريانك ... لم تصمد أمامهما ... اضطربت ارتعشت يدك ... سقطت صورتك منك ... تحطم إطارها ... تناثر زجاجها في أرجاء المكتب ... واجهتك عارية صارخة ... ضغطت على الزر أمامك في عصبية ...

جميعا ... كلكم ست ... » ... انفضّ الجمع ... عاد كلّ واحد إلى بيته ... متبركا
بما حدث ... واثقا من حصوله على المال الصّدف ...

التصقت بوالدك وأنت تحدّق في الأرض... شيء ما يلعب من بعى ...
أسرعت إليه وبرأسك ألف حلم... نظرت إلى الجرح الغائر بإصبعك... ضغطت
عليه... أحسسته يؤلمك وكأنّك تنتزع منه قطعة الزّجاج في حينها... وضعت
ورقة نقدية على الطاولة ... ألقيت نظرة على الفقايع بكأسك فهي تتلاشى...
تناديك ... تحثّك على حملها معك ... فالبرد ينخرها ... يتلفها ... أسرعت
بالخروج ... رذاذ خفيف يداعب المدينة الصّامّة ... يد غليظة تمتدّ نحوك...
شيخ داكن الملامح... يرمقك بعينين غائمتين... « ... أهذه حافظتك ؟ ... »



الصّورة الثّانية...

ARCHIVE

... أبعدت السّتارة عن زّجاج النّافذة المطر يهزّأ ... ينزل ... ينزل في
غضب شديد ... انتقامي ... يسلب الأرض ماء وجهها ... يعريها ... يتركها
حفرا وأخاديد ... تنهره ... ترفضه ... يزداد تشبّثا بها ... يشخنها نقرا وعبثا
... تستسلم في إعياء شديد ... تنام على همساته بألف حلم ... وألف رؤيا ...
شبحان من بعيد كالخيال ... يسيران في بطن شديد ... المطرية الحمراء تكاد
تغطّي نصفيهما ... لم تتبيّن ملامحهما ... فقط خيّل إليك أنّك تعرفهما ... لو
يقتربان قليلا ... المسافة بينكما تكبر كلّما اقتربا ... وكأنّها تتمطّط أضعاف
ما كانت عليه ... المطر يزداد هطلا ... وهما يزدادان تشبّثا وصمتا بما حولهما
... إنّهما يسيران ... الأقدام الأربعة تلتهم الرّصيف ... الزّمن يهرب من نفسه

الصورة الثالثة...

... انتحيت زاوية من المقهى العتيق ... جاء النادل بكأس شاي أحمر ...
أخذته بيدك ... بحثت عن الحمرة فيه ... لم تجدها ... تأملت الفقايع تعلوه ...
ابتسمت ... قديما وفي ليالي الربيع المقمرة ... يجتمع شيوخ الحي في الدكان
الوحيد به ... للتسامر ... ولعب الورق ... كثيرا ما كنت تحضر هذه الجلسات
الهادئة ... تتحوّل أحيانا إلى شجار عنيف ... سرعان ما يتلاشى بين كؤوس
الشاي الساخنة وقبل أن تمتدّ الأيدي إليها ... يرتفع من داخل الدكان صوت
أبح مرتعش ... « ... من امتلات كأسه فقايع ... فسيعثر قريبا على مال ... »
... تتحوّل العيون كلها إلى السائل تتأمله ... تغوص في أحشائه ... تودّ لو
تحركه ... فيصبح رغاوي تنبئ بالخير الآتي ... يطلّ عليهم الشيخ متدبرا
ببرنسه الداكن ... يلتذّ عقب سيجارة بين إصبعيه ... الدخان الكثيف يغمر
وجهه الضبابي ... يحجب تقاطيعه المتناسقة ... يضيء بريقا خاطفا على
عينيه المشبعتين مطرا وعشباً وعزاً ... يحدّق في الكؤوس التي تعالي
بخارها هاربا من ضيق المكان وحدود الزمان ... كلّ العيون تنصبّ عليه ...
ترجوه أن يختار كأسها ... معلنا للجميع عمّا ينتظر صاحبها من نعيم أت ...
أمسك بواحدة ... وقد امتلات فقايع إلى المنتصف ... امتدّت الأيدي إليها ...
كلّ يطلبها لنفسه ... يمنيها بترشّفها حتّى الثمالة ... بل وابتلاع الكأس أيضا
احتفاء بالخير الآتي ... رفعها الشيخ إلى فوق ... تدافعوا حولها ... تشامتوا ...
تساقطوا ... تعثر الشيخ في برنسه ... هوى أرضا ... افلتت الكأس من يده ...
ترامت شظايا ...

لطخ السائل الجميع ... ابتسم الشيخ ... « ... لقد أصابتكم الفقايع

... المكان قابع حيث هو ... لا يتحرك ولا يصرخ ... أنت أيضا متسمر حيث
أنت ... تخشى الانطلاق بعيدا عن النقطة الصفر ... تلتف بمشاعرك ...
تخشى عليها النور ... ولغات البرد القارس ... سنوات طويلة التهمت
بشراة ... أخذت منك الزمان والمكان ... فقط أمامها تقف صنما متحجرا ...
لا تلين ولا تتأثر ... « ... المدينة حيوان أسطوري ... تحنط كل من يتقرب
منها ويتمسح بها ... تمسخه ... ت ... ت ... « ... تجذرت كلمات أبيك بأعماقك
وأينعت ... نضجت ثمارها شهية حراما ... وكنت إلى فيئها ... صنعت لنفسك
عالما ضيقا لا يلج فيه غيرك ... هجرت المدينة ونخبها ... بقيت ترمقها من فوق
... تتشهى الغوص في متاهاتها ... تتمنى التلوث ببهرجها كالجميع ... نداء
خافت عميق ينفرك مما ترغب فيه ... دموع ساخنة أرادت أن تفر من مكمنها
... أوصدت الأبواب أمامها ... أمسكت رأسك بيديك ... أغضت عينيك لفترة
ما ... فتحتهما ... بحثت عن الشبحين تحت المطر ... لم تجدهما ... حتما قد
توغلا في أعماقها ... انصهراني حياتها المتهاطلة بحثا عما يمكن أن يكون ...
اتجهت إلى مرأة ... طالعت وجهك كتيبا غريبا ... لم تعرفه ... تفرست فيه
ثانية ... عيناك الغائمتان وراء ربيع هارب من هويته امتلاتا بريقا أضفتا
على تقاطيعك الداكنة جاذبية كليلة ... هي نفس الجاذبية التي غمرتك يوم
تحدثت إليها بعد سنوات طوال لم ترها فيها ... كنتما طالبين في نفس
المرحلة ... لم تتغير قط ... نفس الصرامة والحفاظة في كل شيء ... حتى
شعرها لم تزيّف الأصباغ ... ولم يعبت به المقص ... كان صوتها ثابتا رقيقا ...
استمعت إليها وهي تحاضر ... انبهرت بها ... نسيت المكان والزمان ...
حطمت قيودك ... اغتلت صورة المدينة الأسطورة ... اقتربت منها ... كانت
منشغلة : إمضاء مؤلفها الأخير لبعضهم ... فتحت فمك ... ارتدت كلمات

الإطراء إليك ... حدّقت في الغلاف الممدود نحوك ... جسمان بعيدان ... يشقّان
الأفق ... يحجبهما ستار كثيف من الأمطار والضباب ... ارتعشت يدك وأنت
تستلمه منها ... حرارة دافقة تغمرك ... ابتسمت ... ضغطت على يدك وهي
تصافحك مثلهم ... وددت لو أنّ الزّمان يتمطّط ... انطفأ البريق بعينيك ...
عاد لهما الرّبيع بهويته الأمل ... اقتربت من المكتب ... فتحت الدّرج على
يسارك ... بيد مرتجفة أخرجت منه الكتاب ... الشّبّحان البعيدان يخترقان
سياج المطر والضباب ... يسرعان إليك ... يلهثان ... يسقطان ... يقومان
ثانية ... يتعنّزان ... ينكمشان على بعضهما ... ينصهران معا ... أنوار تتلألا
لناظريك ... تناديك ... تهتف بأسمك ... الحيوان الأسطوريّ بأعماقك يطلّ
عليك ... يخنق أنفاسك ... يكاد يتلفها ... رغبتك الجامحة في تعديّه تعاودك
عنيفة مصرّة ... فتحت عينيك ثانية ... حدّقت في الرّسم من جديد ...
شبحان رائعان يسيران بلا مطريّة ... سياج المطر والضباب لا يحجبهما عنك
... ابتسمت وأنت ترى وجهك في أحدهما ...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الصّورة الرّابعة...

... أنت وأنا ... أنا وأنت فقط ... أنظر إليك فأعرفك ... تنظر إليّ فلا
تعرفني ... لا تجدني فيك ... تقاطيعي هي تقاطيعك ... عيناك هما عيناك ...
حتّى الجرح الصّغير على خديّ الأيمن هو نفسه على خدك الأيمن أيضا ... لماذا
تطيل النّظر إليّ ... أغريبة أنا عنك ... خلقنا معا ... في مكان واحد ... وزمان
واحد ... صرخنا معا ... صمتنا معا ... فقط تهرب منّي أحيانا ... وتعود ...
وقد أضناك البحث عمّا كان يجب أن يكون ... لا أتذكّر إليك ... أبتسم ...

أضحك أحيانا ... تقتل أنت الضحكة بداخلك ... تنفجر رغما عنك ... تملأ
تقاطيعك الدأكنة ... تشرق تقاطيعي أنا ... لا تستطيع أن تهرب مني ... يوم
ملأت وجهك بالمساحيق ... وركبت لحية كثة على ذقنك ... وغيّرت من نبوات
صوتك الهادئ على الركع ... صفق لك الحاضرون ... رأوا فيك حلمهم ...
أعجبك وجهك الجديد تركته ... خرجت به إلى الشارع ... تعرّف عليك كلّ
أصحابك ... نظرت في إحدى الواجهات ... رأيته فيك ... أحتل كلّ وجهك ...
أزحف على كلّ تقاطيعك ... أغمر عينيك ... ضقت بي ... صرخت في وجهي ...
ارتدت الصرخة إليك ... أمضيت يومك جالسا على المقعد الحجري بإحدى
الشوارع ... تتصفّح الخضمّ الهائل في مدّه وجزره ... شيخ انتحى مكانا
منزويا وبيده مجلة يقلّب صفحاتها ... يتأمّل صورها في نهم غريب ... يعيد
تصفّحها ثانيا ... وثالثا ... وعاشرا ... انتبه إليك ترمقه ... نظر إليك شذرا
... احتضن المجلة في عنف ... فرّ يجري ... توقّف بعيدا ... نظر إليك من جديد
... غاب وسط الزحام ... ريح باردة أشتطت بعض الأوراق ... تلاعبت بها ...
جمعتها ... كوّمها ... فوقتها ... تلاشت كلّ واحدة منها في مكان ... قمت من
مكانك لففت "الكشكول" الأحمر حول عنقك ... بحثت عن علبة السجائر ... لم
تجدها ... حتما وأنك نسيتها في مكان ما ... اقتربت من إحدى العربات ...
ابتعت واحدة ... أشعلت سيجارة ... جذبت نفسا طويلا ... نفثته أمامك ...
تلاشى سريعا ... نفثت ثانية غمر وجهك الضبابي ... غمرني معك ... أكره
السجائر ... دوما تجبرني على استنشاقها ... تذوّق ضعفها اللاطعم ...
ابتسمت ... ابتسمت ... أنت تتجاهل سرّ هذه الابتسامة الملحة على شفّتك
... أنا لا أتجاهلها ... هي أنا ... وأنا أنت ... وصلت البيت ... دخلت ... أزهار
النرجس تطاؤن رؤوسها أمامك ... كم تحبّها ... أنا أيضا أحبّها ... أخذت

واحدة ... نظرت إليها طويلا ... اخترقت راحتها أعماقي ... تذكرت
الأسطورة اليونانية ... أعدتها على مسمك للمرأة الألف ... انتفضت بحثت
عني ... لم تجدني ... صوتي فقط تسمعه ... ينبض بداخلك تحديا وانتصارا ...
أسرعت إلى المرأة ... سبقتك إليها ... غسلت وجهك ... وجهي ... أزلت لحيتك
... ظهر ذقني داكنا أملس ... لمسته بكفك ... عيناى المشبعتان نخيلا مساء
خريف ممطر تنبثقان منك ... تهتفان بك ... أغمضتهما ... فتحتهما ...
وجدتني للمرأة الألف معك ... لا أحد يشاطرنا الزمان والمكان ... أحطت وجهك
بيديك ... طالعك وجهي أليفا مؤنسا ... الجرح الغائر بخدي الأيمن يذكرك
بيوم سقوطك من ظهر الحمار ... لقد سقطت قبلك ... أو سقطنا معا ... كان
حافره أن يفقا عينك ... عيني أيضا ... بكيت طويلا ... تجلدت أنا ... ثم
انهمرت باكية ... أخافك صوتي ... انزعجت لتقمصي فيك ... لم تجد كفي ...
تشابكنا ... اتحدنا معا ... انصهرنا ... أصبحنا واحدا ... احتججت ... رفضت
... صممت ...

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

و. ف. : 91/1/1

أقصوة

بقية الطريق

لمسعودة أبو بكر

إنحنت تستدرّ من سنواتها الخمسين بعض الجهد والحماس.
بيدها مكنسة وحول قامتها المرهقة ميدعة وردية وعبر أرجاء
المحطة غبار وعلى أرضيتها علب سجائر فارغة... تذاكر سفر غير
صالحة ونفايات أخرى.
ويرأسها شريط ذكريات العمر المنقضي يلفّ الأونات الحلوة
والمرّة.

* * *

عمد إلى أقرب مصطبة يقتعدها ماسحا العرق المتصبّب عبر
غضون تستقبل العقد السّابع يتأبّط حزمة الصحف والمجلّات شأنه
معها كلّ يوم من الفجر حتّى موعد صلاة الظّهر... عيناه تحدّقان في
صاحبة القامة الملفوفة بميدعة وردية تكنس رصيف المحطة حين
اقتربت من مجلسه... ارتجفت يدها فرك أرنبه أنفه، رسم ابتسامة

عريضة على كلّ محيّا، رفع صوته بالتّحيّة :

- اللّهُ في عونك

الشمس في كبد السّماء وأنت مازلت تنحين على الكنسة، إرحمي نفسك واذهبي لأكل لقمة

- هذا أنت !... نهارك سعيد أضافت المرأة دون أن تتوقّف عن ملاحقة علب السجائر تفتكّها من الرّيح وهي تجرّها تحت المقاعد :
- يبدو أنّك انتهيت من توزيع الصّحف وستلتحق بصلاة الجمعة باكرا

هنيئا لك ... سترتاح بعد العصر ما طاب لك ومامن أحد يزعجك...

أنا ما تزال في انتظاري حصّة تنظيف أخرى في المساء!...

- أنت أيضا يمكنك الراحة بعد الظّهر لو شئت.

- أرتاح !! ... <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يا حسرة... ومن سيتكفّل برزقي لو قعدت بالبيت ؟!...

ثمّ ... إنّ الوحدة قاتلة، مامن أنيس يغيب بوجوده وحشة النّهار الطويل أو ذاك اللّيل الطويل الأعمّ!...

البنت متزوجة بيني وبينها برّ وبحر وليس لي غيرها.

- الوحدة قاتلة يا ابنة الحلال.. أنا أيضا أعرف وحشتها وأرّزح تحت وطأتها والولد الوحيد مشدود هو الآخر إلى بيته وزوجته وأولاده...

صمت... تنحنح... أطرّق يتأمل الرّصيف المكنوس ثمّ أردف :

- بيتي كبير وفارغ من الأنفاس وأنا... أنا أحتاج إلى أنيس
الرِّزْق والحمد لله وفير، جراية شهرية من صندوق التَّقاعد
ومحصول الصَّحَف الموزَّعة كلَّ يوم... ومنزل من تركة الوالد رحمه
الله !...

أما الصَّحة، فكما ترين بركة من ربِّنا، لم أعرف سجاثر ولا نبیذ،
أتحدَّى شباب هذا العصر...!»
توقَّفت المكنسة..

شرد بصر المرأة إلى بعيد...

ذكرت زوجها الرَّاحل منذ عشرين سنة خلت وذلك البيت الذي
تستأجره بأقصى الحديقة التي تسيج دار أقارب لها.

البرد في الشتاء لا يرحم تنضج به الجدران والبلاط العاري...
وحين تهوِّج الرِّيح قبيل العواصف، تدفن وجهها بين الوسائد
وترفع صوتها :
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

«يا لطيف... استر يا ربِّي... يا لطيف!»

وتلك الكلاب اللَّعينة، عواؤها يمزق هدأة اللَّيل ولا يكلَّ إلَّا مع
الفجر... لعن الله تلك الكلاب... تمثت لو كان بالبيت رجل لخرج
إليها وشجَّ رؤوسها بعصاه.

إنتشلها الشَّيخ من شرودها بسؤال فاجأها :

- هل تجيدين طبخ «المحمَّص بالقديد»؟...

هل تشردين دقيق القمح جيِّداً...

هل تحبِّين أكل المثلوث برأس الضَّأن؟...

لم ينتظر منها رداً بل راح يواصل في حماس :

- أنا لا أكل إلاّ "الببيض العربي"

عندي وراء الدّار قنّ مليء بالدجاج ذي الرّيش البنيّ وحمام
وبعض أرانب...

أحسّت المرأة بحصار يلفّها... حصار غريب فاجأها، هي منه
غريبة الإحساس... يستهويها تارة ويلقي بظلال القلق على صدرها
تارة أخرى.

ما الذي يعنيه هذا الشيخ... بل هذا الرّجل؟ إنّه رجل حتّى لو
شارف التسعين...

هي تدرك حسب ما يتناول النّسوة أنّ الرّجل يظلّ رجلاً ما دام
إصبع ساقه الأصغر يتحرّك، وهذا الرّجل الشيخ يدبّ منذ الفجر،
يدور كلّ الشوارع والأنهج من غير المعقول أن يكون إصبع ساقه
الأصغر لا يتحرّك...

انتبهت اليه وهو يترك مقعده ويتقدّم ناحيتها يوارى ارتباكاً
واضحاً بتنظيم حزمة الصّحف موزّعا بصره حولها.

- يا ابنة الحلال لقد استرشدت عنك وعرفت أنّك المرأة الصّالحة
الصبورة التي مازال قلبي يهفو لعشرتها...

فهل لك في العيش معي؟؟.

مدّيني بعنوان ابنتك وصهرك حتّى أكتبهما في الموضوع...
هاه... ما رأيك؟؟.

استندت المرأة على المكنسة، جذبت أطراف الميدة انتقلت أناملها
الى منديل رأسها تعيد عقص أطرافه ثمّ انطلقت تكنس الرّصيف

من جديد وهي تغرق في الصمت.

عندما حيّاها الشيخ وانصرف لاحظ على محيّاها طيف ابتسامة.
عاد هو إلى منزله، راح يتأمل الفناء والجدران... ثمّ همس بينه
وبين نفسه :

«هناك شروخ لابدّ من ترميمها... أمّا الجدران فتحتاج هي
الأخرى الى شيء من الملاط.»

* * *

عادت هي إلى بيتها المنزوي بالحديقة عقب المغرب، عمدت لتوّها
إلى صندوق صغير تحفظ به أوراقها ورسائل ابنتها المتزوجة
ودسّت إحداها في جيب المبدعة الوردية اللّون.
ثمّ فتحت صوان الملابس وراحت تستعرض مناديل رأس مزرکشة
وفساتين عتيقة فاحت منها رائحة الرطوبة... رائحة الكتّان الذي
مرّت عليه سنوات وهو مدسوس لم ير الشمس.

أوت 1991

مسعودة أبهر بكر

الملتقى الثاني لهواة الأدب بالكريب نحو إرساء تقاليد شعرية

... منذ تجديدها سنة 91 وبعد ركود ثقافي أشبه بالموت سعت اللجنة الثقافية المحلية بالكريب إلى إرساء تقاليد ثقافية بدءا بإعادة الروح لمهرجان السنايل الذهبية الذي أطفأ شمعته الثانية هذه السنة ومرورا ببرمجة محاضرات لتلامذة الأقسام النهائية إضافة الي الأمسيات الثقافية والمباريات الرياضية والفكرية التي كانت تكون معدومة...



إدماج الشعر في برامج اللجنة :

لم يكن للشعر مكانة تذكر في الأوساط الشبابية رغم المحاولات المحتشمة لإدماجه في فقرات من قصائد الشعراء المعاصرين يتبارى في إلقائها بعض المشاركين وظل هكذا لفترة.. إلى أن بعثت نشرية «براعم الشوك» على يد نخبة من مبدعي المنطقة.. بدأوا طبعها بمجهود خاص وعلى نفقتهم الخاصة فالتفت من حولهم نخبة من الطلبة والتلاميذ والاساتذة فأزدانت بابداعاتهم المختلفة (شعر.. مقالة.. قصة.. رسم.. إلخ) ورغم مجهوداتهم الفردية فقد تمكروا من خلق تقاليد شعرية وأصبح للشعر مكانته في الأمسيات وأصبح له عشاقه وأزداد عدد المحاولات الشبابية مما دفع باللجنة إلى احتضان النشورية وترويج نشاطها بإقامة الملتقى الأول لهواة الأدب (جويلية 91) فلاقى نجاحا جماهيريا منقطع النظير رغم الإمكانات المادية اليسيرة.. وهنا لا يفوتني أن أشكر النخبة التي نسقت جهودها وعملت بصدق من أجل إنجاح التظاهرة

الأولى رغم عدم تواجدها ضمن إطار اللجنة الثقافية.. (صالح النفوطي، منير الميساوي، كمال النفوطي... وعادل العبيدي) مع الاعتذار لمن سقطت أسماءهم سهوا من الذاكرة المتعبة..

إعادة تجربة أم إضافة :

... بعد نجاح التجربة الأولى فكرت اللجنة في تلافي نقائص السنة الفارطة وخاصة فيما يتعلق بالبرمجة والتنظيم وذلك قصد تجنب الإعتباطية المعهودة في مثل هذه الملتقيات وبعد تحديد الموعد (زيام 28 - 29 - 30 أوت 1992) شرعت في الإعداد ووجهت دعوات لنخبة من الشعراء تغيب أغلبهم نظرا ل التزامن الملتقى مع ملتقى أدب الطفل بمدينة منزل عبد الرحمان مما جعل سهرة ليلة الجمعة 28 - 9 - 92 تبدو محتشمة فقد أفتتحت في ساعة متأخرة وشاركت فيها نخبة من الأقلام الواعدة بالمنطقة إضافة للمشاركة المتميزة للشاعر شكري الدشراوي وكذلك الشاعر جلال حبيب الوحيد الحاضر من ضمن قائمة المدعوين.. سهرة ليلة الجمعة لم تطل لسببين قلة النصوص المشاركة وتفوة أحد المنظمين بعبارات كان من المفروض ألا تسمع في مثل هذه الملتقيات الأدبية.

أما سهرة السبت 29 - 9 - 92 ونظرا لعدم تهيء اللجنة لتحمل المفاجآت فقد تأجلت بسبب الأمطار الغزيرة رغم قدوم الجمهور... سهرة الإختتام كانت مفاجأة فقد توافد الشعراء بعد أن بدأ اليأس يتسرب للنفوس وقد وصلوا في المساء لإنقاذ ما أمكن إنقاذه ولولاهم لانقضت أيام الملتقى كأيام عادية.

سهرة الختام حضرها من الضيوف السيد عبد القادر الهاني مدير مجلة الإتحاف والشعراء كمال بوعجليلة الذي غنى "لحبيبته" و "الجوع اليتامى" ووزع أنفاس الجنوب على الحاضرين ورحيم جماعي الذي جاء "بخمرة مرّة" و "بحرقات الغرام" وكانت مشاركته فعالة (رغم يده المكسرة!!) كذلك توفيق بن هلال "صاحب الجمر والنوء" حضر ليلة ممطرة في صيف حار كالجمر وغنى للحرف فأبدع..

وجوه أخرى كانت حاضرة بقصائدها القديمة والجديدة أذكر منها الشاعر والصحفي الهادي المرباط والشعراء العياشي طاع الله السعيد المنصوري، جلال الصغاييري، ساسي شبيل وغيرهم من أبناء المذلة أما الأدب النسائي فقد مثلته كل من ربيعة الورغي، هاجر الشنوفي وسعاد العبيدي وخلاصة القول أن الملتقى الثاني لم يحقق إضافة تذكر فقد كان نقلا عن الدورة الأولى ومرد ذلك سوء التنظيم وغياب أعضاء اللجنة الثقافية مما أثر على سير النشاط والإستعدادات (حضر 4 أعضاء من 12 عضوا) وهنا نطرح السؤال الذي يتبادر للذهن لماذا التكاليف على المسؤولين دون استعداد للعمل في حين وجود من يعمل دون مسؤولية تذكر!؟

على هامش الملتقى : لعلّ معارض الرسم حققت نجاحا غطى الفضل النسبي للأمسيات فقد شارك العديد من الرسامين نستعرضهم كما يلي :

عادل علاق : رسام قادم من العراق يحمل من روح "تموز" ومن دموع "دجلة والفرات" يوزعها في لوحات زيتية ومائية تراوحت

بيت الطبيعة والايحائية والسريالية وأنقسمت إلى قسمين : قسم يحل ملامح العراق وقسما يحمل ملامح تونس ويبدو أن "عادل" رسم القسم الأخير أثناء تواجده "بالعروسة" التي يقيم بها حاليا..

كمال النفوطي : عدد يسير من اللوحات ورغم قلة الإنتاج وضيق الوقت فإن الفكرة أكبر.. وما أوسع الفكرة في المدرسة الدادية والسريالية أحيانا مثل لوحة "لقاء" و"تراكمات"

عبد العزيز الدريدي : فنان غني عن التعريف رافق الشعر والشعراء منذ بدايته وهاهو الآن يحول وجهته نحو الغناء ويرسم من "غير له" و"فراق غزالي".

حسن الفيزاتي : رسام برع في الكي على الخشب... أحبه فصارت اللوحة تنبض معه وتكتوي بأكتوانه المكواة.. تعددت أغراضه من "البدر ترأي" حتى "الساعة السائلة" التي تشبه ساعة "دالي" ما يشدك لدى "الفيزاتي" تصرفه في التدرج الضوئي بشكل رائع.

صالح البرقاوي : هذا الأخير إختار أن يرسم لوحاته بطريقة "اللسق" بجمع عناصر طبيعية كالقصب والورود المجففة ليصوغ لوحات متنوعة زادت بها جمالا الخلفية المنتقاة بدقة..

رضا البركاتي : هذا الأخير شارك بمعرض للطوايع البريدية أحالتنا إلى أحقاب من تاريخ البلاد العربية وحتى الغرب.. نشد على يده لمزيد إثراء هذا المعرض الذي يعد وثيقة تاريخية.

ملحوظة : نسوقها للمسؤولين في المنطقة لمزيد دعم مثل هذه

الأنشطة الثقافية والسعي لتنقية الساحة من المتطفلين على الميدان لأن ذكر من شأنه أن يعيق لا أن يقدم بدفع عجلة التطور.

كما نلفت إنتباههم لضرورة إحتضان الطاقات المبدعة وتشجيعها لتستمر في عطائها وأذكر مثلاً عازف الناي الذي رافقنا طوال السهرات رغم افتقاده لآلة جيدة (الهاشمي الجبالي).

ختاماً تبقى هذه النشاطات محاولات جادة لإرساء تقاليد شعرية بالمنطقة ولهذا وجب تشجيعها مادياً ومعنوياً لمزيد التقدم والإشعاع داخل الجهة وخارجها... وفي أنتظار الدورة الثالثة.

كل عام و"ميستي" تفتسل بالشعر

و"تتبرك بمعاطف الشعراء".

بقلم : عمر العبيدي

الكريب



محطات ثقافية

■ إعداد : الأزهر النفطي

سنقف عند جملة من المحطات الثقافية التي ميّزت الساحة الفكرية في الفترة الفاصلة بين نهاية شهر جويلية 1992 والاسبوع الأخير من شهر سبتمبر 1992.

الابداع والحرية في الوطن العربي

نظم اتحاد الكتاب التونسيين ايام 25، 26، 27 سبتمبر 1992 ندوة فكرية حول الابداع والحرية في الوطن العربي، ساهم فيها محاضرون تميزوا بحضورهم الفكري والادبي على الساحة الثقافية وقد تمت خلالها ثمانية دراسات فكرية شارك بها كل من الاساتذة : الطاهر البكري، محمد بن صالح - حسن خذر - مصطفى التواتي - هشام القروي - عبد الرحمان مجيد الربيعي - بشير بن سلامة وعلي شلفوح.

وقد افتتح هذه الندوة الفكرية الشاعر الميداني بن صالح رئيس اتحاد الكتاب التونسيين بكلمة قيمة ذكر فيها بالخصوص : «ان رسالة المثقفين الشرفاء الذين يرفضون حتى الموت بيع أقلامهم وافكارهم، مسؤولية جسيمة في عالم متشعب تداخلت دروبه ومسالكه وضاعت فيه الحقائق».

وقد شكلت الجلسات العلمية الثلاث التي برمجت لإثراء هذه التظاهرة الفكرية العمود الفقري لهذه الندوة وسنقف عند نماذج من البحوث التي قدمت في هذه التظاهرة الفكرية.

(1) **ارتسامات حرّة حول حرية الابداع** : دراسة الاستاذ الجامعي الطاهر البكري : رجع المحاضر الى رواية "إميل حبيبي" "صرايا والغول" وقارن بين بطلّة الرواية التي اعتبرها نموذجا للارض المغتصبة ومفهوم الحرية في الوطن العربي فاستنتج الباحث ان حرية الابداع لا تختلف في مفهومها عن صرايا رواية إميل حبيبي التي اختطفها الغول اذ الكل يكيها ويغيها لكنها تضيع بين براثن الوحش ويبقى المبدع العربي هائما مغتربا داخل الوطن او خارجه يبحث عنها في كل زمان ومكان وانتهى الى القول الى ان حرية الابداع في اغلب البلدان العربية قد قيدها مبدعون ومثقفون منا وفيما اذ لا حرية ابداع بدون مبدع حرّ.

(2) **ابداع الحرية** : بحث الشاعر محمد بن صالح، يرى الباحث ان الحرية مفهوم غريب ينظم الى تلك المفاهيم التي صارت بفعل اجترارها وتواصل انتشارها تبدو وكأنها على غاية في الوضوح ولكن مجرد الوصفة تؤدي لاستحالة تعريفها. فالحرية مفهوم لا يعاين خارج مجال الفعل ولكنه يفسر بمجرد تحقيق الفعل. والانسان الحر انسان فاعل لا محالة ولكنه قبل ذلك هو صاحب رؤية والفعل ضروري لتجسيد تلك الرؤية

(3) **ثنائية المثقف والسلطة في الوطن العربي** : محاضرة الاستاذ مصطفى التواتي : ركز المحاضر على العلاقة القائمة بين المثقف والسلطة في الوطن العربي ولاحظ ان عملية الابداع تمثل القطب الاساسي في الحقل الثقافي الذي تدور حوله مختلف انشطة الشارع الثقافي لانه في ذات الوقت تمثل للفكر في لحظة امتزاج حركة العقل بذات الوجدان والارتقاء به من فردانيته الى حالة التواصل الجمعي عبر ما نسميه بالشكل الفني.

أما عن مفهوم السلطة في الوطن العربي فيكتسي طابعا شموليا متعدد الوجود متداخل الابعاد وهذه السلطة تمثل ميزة اساسية مشتركة عن التاريخ

مهما تعدد اشكالها واختلفت ظاهريا.

(4) لا حرية للمبدع الا مع وجود سلطة رابعة حقيقية :

محاضرة الاستاذ البشير بن سلامة : لاحظ المحاضر ان الابداع صورة من ذات المبدع ومعاناة كامنة في كيانه ولكن هذا الضرب من الابداع واضافه وانماطه قد تكشف لنا من اول وهلة عن مدى قربيه من جوهره او بعده عنه. فالنظام الثقافي الذي يشكل داخل قوانينه العمل الابداعي يحدده علماء الاجتماع في اربعة عناصر هي :

- التصورات، التماثلات، المعايير وانماط التعبير، اما الصحافة باعتبارها سلطة رابعة فهي تلعب دورا رياديا في صلب النظام الثقافي سواء كانت صحافة الرأي او الاخبار فهي مرأت هذا النظام المقصود تعبر بصدق عن التفاصيل اليومية لحياة مجتمعاتها لكنها اصبحت مقننة بين ظاهرة الاشهار وطائفة الرقابة.

وقد شغعت هذه المحاضرات بحوار ثري عبر من خلاله المشاركون في هذه الندوة الفكرية عن تعاطسهم لطراح مثل هذه القضايا وما يتمخض عنها من اسئلة حارقة تعتمل في ذهن المثقف العربي أينما كان موقعه وستنشر كل الدراسات في كتاب ينفع الناس ويمكث في الارض.

الملتقى الثاني لهواة الادب بالقصرين

نظمت الدورة الثانية للملتقى هوات الادب بالقصرين ايام 14، 15 و16 أوت 1992 بالتنسيق بين نادي الادب والمندوبية الجوية للثقافة بولاية القصرين.

وقد استقطبت هذه التظاهرة الثقافية اكثر من ستين شابا مبدعا ساهموا بقراءاتهم الشعرية القصصية في اثناء فعاليات الملتقى، وقد نظمت على هامش

الدورة ثلاثة جلسات علمية متميزة تمحورت اساسا حول اعادة النظر في المسلمات البديهية والذوقية التي اصبحت عمالة متداولة لدى العديد من المنظرين كلما تعلق الامر بالحديث عن التراث الشعري خاصة.

(1) **محاضرة الاستاذ عبدالله بوسطلة :** رجع المحاضر الى كتاب "ريتا عوض" "بنية القصيدة العربية القديمة" وطرح جملة من الاسئلة حول الموروث الشعري القديم وألح على ضرورة قراءة القصيدة التقليدية قراءة حديثة تتلائم مع المقاييس الفنية والنظريات المعاصرة كي نتمكن من فهم الواقع المجتمعي والمناخ الثقافي الذي انتجها.

(2) **محاضرة الاستاذ أحمد الفرغلي :** تناول المحاضر قضية تراث القص العربي وركز حديثه على الانساق الفنية التي تميز هذه الكتابة الابداعية وكيفية نشأتها ومراحل تطورها عبر العصور والمدارس الاجنبية التي تأثرت بها.

كما قدم الاستاذ مصطفى المواتقي دراسة حول المعمار الفني في رواية "اللجنة" للكاتب المعروف "صنع الله ابراهيم" وكانت مسك ختام الملتقى شهادة مؤثرة قدمها الشاعر عبد الحميد بن ساعي صاحب "حصان الضياع" و"صهي الالم" حول تجربته الشعرية التي اتسمت بالمرارة والقرف والمعانات.

الملتقى الثاني لأدب التسعينات بالمنستير

نظمت اذاعة المنستير يومي 5 و4 سبتمبر 1992 الدورة الثانية للملتقى ادب التسعينات الذي تجاوز هذه السنة مرحلة التقويم ونفذ الى إستشراف كتابة النص التونسي في العشرية الاخيرة من القرن العشرين.. وقد افتتح الملتقى الاستاذ عبد الحفيظ الهرغام بكلمة قيمة اكد فيها على دور المبدع الفاعل في المساهمة بقسطه الوافر في التنمية الشاملة للبلاد، وقد قدمت في الملتقى

دراستان ذات بعد علمي حديث شارك بهما الاستاذان أحمد لحذيري "سلطة النص" وعبد العزيز شبيل" القصيدة العربية بين المقروء والمسموع التجربة التونسية نموذجا.

- **الأستاذ أحمد لحذيري** : لاحظ المحاضر ان سلطة اي نص ادبي تقوم اساسا على المكامن الادبية في العمل الابداعي اعتمادا على جملة من المقومات الفنية التي تشكل بنية النص كالبناء والعلاقات اللغوية والتراكيب والنسيج وقد رجع المحاضر الى رواية فرج حوار "المؤامرة" والى مجموعة خديجة جويني" حالة اضطراب" والى مجموعة براوي عجيثة "امواج الغضب" ومجموعة الحبيب المرموش "كم الوجد الآن لأخلع نفسي" ومجموعة يوسف عبدالعاطي "وبعد".

- **الأستاذ عبدالعزيز شبيل** : وقف الباحث في البداية عند الاشكالية الكبرى القائمة بين الشعر المنشد والشعر المكتوب ولاحظ من خلال النماذج التي قام بدراستها أن هنالك نوعا من الخلط البريء بين شعر مكتوب له ظروفه وشروطه وخصوصياته وشعر منشد له اسباب ومقوماته. وقد تم تكريم الشاعر الكبير الهادي نعمان والمشتج القدير محمد البدوي بهذه المناسبة.

ندوة الروائيين العرب لمهرجان قابس

دعوة لتأسيس رابطة الروائيين العرب

احتضنت قابس الدورة العاشرة لمهرجان قابس الدولي على مدى ستة أيام وذلك بداية من 31 جويلية 1992 ندوة الروائيين العرب. جمعت هذه التظاهرة الثقافية ابرز كتاب الرواية والقصة بالوطن العربي.

وقد ارتأينا ان نقف عند محاضرة الأستاذ المغربي عبد الحميد العقار الموسومة باللغة الروائية وافاق التصعيد والحداثة في الرواية المغاربية نظرا

لعلاقتها الوثيقة بالخطاب الروائي والحدث في القصة والرواية المغربية المعاصرة.

وقد انطلق الباحث في محاضراته من فرضية قوامها ان اللغة في نصوص الرواية المغربية تتميز بكونها متبعا لتحرر الخيلة من سلطة اي من سلطة الممنوع والمقدس وقد خلص الباحث الى ثلاثة محاور رئيسية.

(1) ان الرواية المغربية حديثة في مستواها اللغوي لانها انفتحت على لغة الخطاب اليومي اي على اللهجات العامية المتداولة.

(2) ان اللغة المغربية حديثة ايضا لانها اصبحت تعتنى كثيرا بنقد خطابها ووسائلها وتقنياتها.

(3) ان الرواية المغربية من خلال التمرس باللغة اعادت الاعتبار للسانل وهكذا نفهم الحضور القوي للغة الحلم، للغة الاتهامات، للغة الهذيان ولكل اشكال التعبير التي تعيد الاعتبار لذات الكاتب.

الدورة الاولى لآيام قبودية الادبية

احتضنت مدينة الشابة ايام 17، 18 و 19 جويلية 1992 الدورة الاولى لآيام قبودية الادبية تحت شعار الحدث والتراث والمعاصرة في الشعر والرواية والقصة. وقد اثرت فعاليات هذا الملتقى الادبي اربعة بحوث نقدية ساهم بها الاساتذة :

- **الازهر النفطي** : الحدث وحضور التراث في النص الادبي المعاصر.

- **محمد الخبو** : الرواية المتقطعة في "رامه والتنيم" لادوارد الخراط.

- **محي الدين حمدي** : رواية الزوايا في تونس.

- **رشيد ثابت** : المكان في رواية "الآن هنا" او "شرق المتوسط مرة اخرى"

لعبد الرحمان منيف.

وسنقف في هذا السياق عند دراسة الاستاذ رشيد ثابت نظرا لملامستها عن قرب لتجربة الروائي الشهير عبد الرحمان منيف. وقد لاحظ المحاضران الرواية تكتسي طابعا غنائيا يجعلها تقترب من روايات السيرة الذاتية، اما المكان المركزي الذي تدور حوله احداث الرواية فهو سجن عمورية الذي يتفرع الى اماكن متعددة تروي تجربة السجين السياسي طالع العريفي هذه الاماكن على تعقدها يسميها عادل الخالدي مكان حجز الحرية فالمكان الجامع يتجاوز نطاق قضاء الوطن المادي ليصبح حالة ذاتية ملازمة للشخصيات.

على هذا الاساس اصبح المكان قضية مركزية جعلت العمل الروائي يوظف حكي الاقوال (الحوار) وحكي الافعال (السرد) وحكي الاحوال (الوصف) من اجل افتزاز القارئ وحفز همه على ان يكون فاعلا بدوره مع المكان القضية كما تشكل في الرواية.

الاحتفال بعشرية معهد ابن ابي الضياف الخاص بسليانة :

نظمت أسرة المعهد الثانوي ابن أبي الضياف الخاص بسليانة يوم 92 / 10 / 7 عشرية المعهد باشراف السيد والي سليانة وحضور الأخ الكاتب العام للجنة تنسيق التجمع الدستوري الديمقراطي بسليانة. وعدد من الاطارات الجهوية والمحلية.

تم في هذا الحفل اللطيف تكريم مؤسس المعهد ومديره لسنوات عديدة، الاستاذ الشيخ عبد الله الزريبي الذي ارتجل كلمة بليغة قال فيها بالخصوص :

السيد الوالي، الأخ الكاتب العام للجنة تنسيق التجمع الدستوري الديمقراطي السادة إطارات التربية والثقافة والمنظمات القومية اسمحوا لي أن اتقدم أولا عن نفسي ونيابة عن هيئة المعهد بأسمى آيات الشكر والعرفان للسيد الوالي المحترم لتفضله بالإشراف على هذا الحفل اللطيف تقديرا منه لحفظه الله لما قد يكون المتحدث قد أسهم به في المجالين التربوي والاجتماعي،

وقد قيل: إنه لا يعرف الفضل الا ذوهه

واني سوف لا أنسى ما حييت هذه اللفتة الكريمة وهي جزاء وفاق لكل من وهب نفسه لخدمة المجتمع «وهل جزاء الاحسان الا الاحسان» كما انني ثناء لا يحمي من ذاكرة الزمن على الأخ العزيز الاستاذ النابه الحفناوي الماجري الذي بدأت السير بالسفينة، سفينة هذا المعهد منذ البداية.



وإذا كان الاستاذ الحفناوي يمسك بمقود السفينة فإنني سوف لن أتأخر عن دفعها حتى تواصل سيرتها الموفقة برعاية الله وحسن توقيفه.

واثر هذه الكلمة مباشرة أعلن الاستاذ ال انه يتبرع بمكتبته الخاصة للمعهد ينتفع بها تلاميذه ويتبرع كذلك بمبلغ 500د لفائدة المعوزين من تلاميذ المعهد، مما كان له الاثر الطيب والوقع الحسن لدى كل الحاضرين.

الأقلام الواعدة

إشراف الأستاذ :

عبد المجيد زين العابدين

يقصر ركن الأقلام الواعدة هذه المرة عنايته بأقلام بعض المتأدّيات الناشئات ليبين أن ما يتسنّى لتكلم الأقلام أن تأتي به لا يقل شأنًا عما تفرزه أقلام المتأدّبين الناشئين خاصة وأنّ هذا العهد أتاح لهنّ جميع فرص المناقشة النزيهة للكشف عن قدراتهن والإسهام في معركة النهوض بالإنسان على جميع الأصعدة.

أجل إنّ الوطن ينتظر من هؤلاء المتأدّيات الناشئات نحت الأجيال والإسهام في تأسيس المال.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

إنّ في سبيل النهوض بالأمة العربية وتمكينها من اللحاق بركب الأمم المتقدّمة في هذا العصر الغريب الخيف يتأكد بصورة واضحة جلية إلا إمكان للاستغناء عنها أو اعتبارها عنصرا بصورة ثانوية بل الحكمة تنصّ على وجوب تهيئتها للاضطلاع بمهامها ومسؤولياتها وقول كلمتها. وكما في سائر المجالات الفكرية والعلمية والفنية نجد لها في المجال الأدبي قدرات كامنة.

* إلى الأنسة المهذّبة مجحوبة جلاصي أصيلة برج العامري

إنّ من يقرأ كتاباتك لا شك أنّه ملاحظ هذه الحيرة الفكرية القابعة في أعماق نفسك وما تفرزه من نبرّ أفكار وفسحة خيال إلا أنّ كل هذا لا يخوّل لك التغافل

عن اللغة والتفاضي عن بعض قواعدها منساقة وراء أجراس الكلمات
نشكر لك هذه المرة : «سداسية الرّحيل»

سداسية الرّحيل

يا ... القلم الأخرس

مايك لا ترسم مشاعري ؟

مايك تعصاني ؟ هل تحالفت

مع قلبي ؟ ...

يا ... القلم الأخرس

سأكسرك ... إن لم تكتب

سأجعلك عبرة لبقية الأقلام

فصاحبتك لن ترفع ألم

الاستسلام ...

قبّلت عينيّك،

قبّلت عينيّ

ورسمت على شفّتيك

أمنك : لبيك ...

أنا، أنت

أنت، أنا

حبيبي أنت

حبيبك أنا

وعندما ألتقينا

لم أعرف أنك أنت

ولم تعرفني أنني أنا ...

و... ر... ح... ل... ت ولم أنسك

قصيدتي أنت...

أناتي : أهاتي، أنفاسي...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

أسافر إليك صباحاً...

و... مساءً...

فانتظرتني بين سطور الفرح...

مرّاً عليك الرّحيل...

وودعتك على نخب الوجع

ورحلت أنا إلى معازل الدّموع

ورسمتك في أبهى الصّور...

ور...ح...ل...ت...

قابعة خلف ركام الوجع

ألمح شبهاً رحل...

أطارده... يفر...

وأعانق الألم...

والشبح أضحل...

* إلي الأنسة راضية الهلولي بنيت الساحل

من تابع كتاباتك لاحظ بدون ريب كثرتها وجنحك إلى التلقائية والعفوية في
تجميع صورها وكتابتها. أجل تسعد الإتحاف بأن تجد فيك مكتبة في الكتابة إلا
أن سعادتها تكبر وتعظم بقدر ما تبين عنه من حرص على الجنح إلى الدقة
والرغبة في التركيز.

ننثر لك مقاطع من : « ظمأ على شفاة الندى » بل أغلبها.

لأعرف ماذا أسميك ؟ ...

لماذا تجيء اليوم ؟ ...

وقد بدأت تعودني على النسيان ...

لماذا تجيء اليوم ؟ ...

وقد محوت صورتك

من مرسوم الشريان...

يا....

لا أعرف ماذا أسميك ؟!....

لماذا تجيء اليوم ؟...

هاك دفاتر العمر...

أنظر...

كم من ربيع نزل المدينة

ما مرّ علينا

وما سلّم !

كم من شتاء... !...

هاك رسائلنا...

عطرته الرطوبة والضباب...

لاعرف ماذا أسمك ؟!... بل

ماذا تجيء الحين ؟...

أجئت لتعتذر ؟!...

أترى يكفي الاعتذار ؟!

على أيام أسقطتها من خارطة الزمان ؟!

فبغثرتها الريح !...

على باقات ندى أحرقتها... ؟!



كانت عزاء جريح ! ...

على أيام العيد التي

لم يزرني فيها عيد ... !! ...

أجنت لتعتذر ...!

كم حلمت أن تهديني ذات مساء

زقزقة من خمائل «باب البحر»

كم انتظرت أن تدعوني ...

للرقص على تقاسيم المطر ...

ما كان الحلم ... !



أجنت لتعتذر ...!

في كل صباح ...

كان يزورني ساعي البريد

يحمل إلي السلام

من كل الذين أعرفهم

ومن كل الذين لا أعرفهم

ويبكي ...

فسلامك لم يأت ...!

أجنت لتعتذر ...!

أترى يكفي الإعتذار...؟!...

لا أعرف ماذا أسمىك...؟!...

لماذا تجيء اليوم ؟!

* إلى الأنسة سناء عبد الحميد الصريدي

حاولي أيتها الأنسة سناء أن تراجعني ما كتبت أفكارا وصورا وتشابيه
وتعابير، ذلك أن هذه المراجعة تسهم إسهاما كبيرا في الرقي إلى مرحلة الجودة
والاكتمال.

نسوق لك في هذا الحيز أشرك «رحلة الأوهام» منقحا ومهذبا.

ARCHIVE رحلة الأوهام

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أحلم بالوصال في ارتباك المساء

فأنا ساذجة تائهة... مجنونة -بك-

تلاعبني الأعمار وقت السحر

وروحى زهرة مرتجفة ...

زنبقة بيضاء...

ترتطم بالأسوار...

تضنني الرحلة منذ زمن

فكلّ رسائل الحبّ القديم

تاهت في بحاح النسيان

وطالت مسافات الضياع

حبيبي

لقد توغلت في قلبي المكدود

حتى الحدود...

وأنا فسيفساء في الأجواء

طالما حيرني الزيف

وأضعت كبريائي في الترحال

أرحل في المجهول

أدعي الترحال في المجهول

فأركب جواد الحزن... والشوق والشجون...

ما أعذب الإبحار يا حبيبي في الأوهام.

والى عدد قادم من هذا الركن

والسلام